

جلست عبير قائلة:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

سمعت الصوت مرة أخرى، الصوت يناديها.

- عبيبيير.

نهضت وهي ترتجف من شدة الخوف، وخرجت خارج غرفتها لتعرف من أين يأتي هذا الصوت، ظل الصوت يتكرر حتى تأكدت أنه من داخل المنزل المهجور خصوصاً أنهم منزلين متجاورين فقط في شارعهم؛ منزلهم والمنزل المهجور بجانبهم لذا من المستحيل يكون الصوت من مكاناً آخر.

ذهبت سريعاً إلى غرفة والداها وطرقت الباب عدة مرات متتالية، استيقظت والدتها وفتحت باب الغرفة بقلق قائلة:

- في إيه يا حبيبيتي؟

وجدت عبير تنظر إليها وهي ترتجف من الخوف بدون قول كلمة واحدة، قالت والدتها مرة أخرى:

- في إيه يا حبيبيتي خايفة من إيه؟

- عبيبيير.

اقتربت منها عبير بسرعة فائقة عندما سمعت الصوت مرة أخرى وضعت يدها اليمنى على ذراع والدتها ثم قالت بخوف:

- سمعت ياماما، سمعت اللي بتنادي عليا؟

قالت والدتها بدهشة:

- في إيه؟، مين بينادي عليك؟

- فيه واحدة بتنادي عليا ياماما في البيت اللي جنبنا.

قالت والدتها بتعجب:

- يا عبير البيت اللي جنبنا مهجور مفيش حد بيدخله!

سمعت عبير صوت المرأة مرة أخرى.

تركت ذراع والدتها بضيق وخوف في آن واحد ثم قالت:

- أهو ياماما سمعت، أنا خايفة قوي؟

ولكن فوجئت بأن والدتها تقول:

- سمعت إيه يا عبير أنا مش فاهمة؟ أنا ماسمعتش حاجة!

نظرت عبير إلى والدتها بدهشة ثم قالت:

- يعني إيه ياماما، ده الصوت عالي جداً!

ثم تكرر الصوت مرة أخرى فقالت عبير:

- أكيد سمعت المرة دي.

اقتربت منها والدتها أكثر ثم وضعت يدها على كتفها محاولة تهدئتها قائلة:

- اتطمني يا حبيبتي مفيش صوت، أنت بيتهيألك، أكيد جالك كابوس وأنت نايمة لكن صدقيني مفيش صوت.

شردت عبير قليلاً ثم قالت بصوت منخفض وهي تفكر:

- معنى كده إن أنا بس اللي سمعها.

تأففت والدتها بضيق قائلة

- أنت حصل لك إيه بس؟

صممت عبير تفكر في الطرقات التي كانت تسمعها باستمرار، ثم في هذا الصوت الغريب الذي آتاها في وقت أغرب والذي لا يسمعه أحد غيرها، أثناء خوفها أحست بالفضول والغموض، فلماذا تناديها هذه المرأة، عبير لا تعرف ولكنها الآن بدأت تفكر ماذا تقول لوالدتها التي تنظر إليها بعطف كأنها فقدت عقلها ولكن قالت بعد لحظات تفكير:

- ماما، ممكن تيجي تنامي جنبني النهاردة؟ أنا خايفة جداً.

خرجت والدتها من الغرفة وأغلقت الباب وراءها وهي تقول:

- تعالي يا حبيبتي طيب علشان ننام.

ذهبتا معاً إلى غرفة عبير، جلست والدة عبير على السرير ثم قالت:

- أنت حلمت بإيه خلاكي تخافي كده؟

تنهدت عبير بضيق وهي تقول:

- ياماما والله العظيم ما حلمت، حقيقي كان في حد بينادي عليا جنبنا.

تعجبت والدة عبير من يقين ابنتها فعقدت حاجبها بدهشة وهي تقول:

- عبير، أنت متأكده من كلامك ده؟

تلألأت الدموع في مقلتي عبير من شدة الخوف، فهي لاتدري كيف تقنع والدتها بحقيقة الصوت الذي يناديها، ردت قائلة:

- أيوة ياماما والله.

شعرت والدتها بالخوف، وصدقته لأنها تعلم أن ابنتها عقلها سليم ولا تقول إلا الحق فردت عليها وهي تقترب منها أكثر:

- أعود بالله من الشيطان الرجيم، أوعي يا عبير تروحي البيت ده أبداً لو سمعت الصوت ده ثاني، باين عليه اتسكن.

اتنفض قلب عبير عندما سمعت هذه الجملة.

- أنت كده بتخوفيني أكثر ياماما!

- يا حبيبتي ما قصدش أخوفك بس أنت بنتي، يعني أعلى إنسانة عندي في الدنيا وطبيعي أخاف عليك، أوعي فضولك يخليكي تروحي تشوفي مين بيناديلك؛ أصل أكيد اللي بينادي مش إنسان طبيعي مفيش إنسان طبيعي هاينادي لحد من بيت مهجور الفجر!

تسارعت نبضات قلب عبير من خوفها وقالت لوالدتها وهي تضع رأسها على الوسادة:

- ياماما أنت كل كلمة بتقولها بتخوفني أكثر، يلا نحاول ننام قبل ما قلبي يقف من الخوف،

فردت والدتها الغطاء عليها قائلة:

- بعد الشر عليك يا حبيبتي، تصبجي على خير.

قالتها ثم نامت بجانبها ورفعت على نفسها الغطاء وردت عبير قائلة:

- وأنت من أهل الخير ياماما.

حاولت عبير كثيراً النوم حتى استطاعت، وفي صباح اليوم التالي أيقظها نفس الصوت الذي سمعته فجراً، نظرت عبير إلى والدتها لتجدتها نائمة، ثم نهضت مفررة أن تذهب إلى المنزل المجاور لتعرف من يناديها، وحقاً نفذت قرارها وذهبت؛ فوجنت بباب المنزل مفتوحاً على مصراعيه بغير العادة حينها ظنت أن أحداً بالمنزل يريد مساعدتها فدخلت بدون تردد باحثة عن منادياها، عندما دخلت المنزل وجدت نفسها داخل صالة مغلقة، في بداية المنزل صالة صغيرة وعشش العنكبوت في كل سقفها يصل بين السقف والأرض، لم تستطع قدميها أن تحملها لتدخل أكثر، استدارت لكي تعود ولكنها سمعت الصوت يناديها من داخل غرفة بالمنزل، دخلت الغرفة ووجدت فتاة عشرينية جالسة في يسار الغرفة على الأرض بثياب مهترئة من الكتف تنظر إليها بحب وتقول لها مبتسمة:

- كنت خائفة ماتجيش.

قالت عبير متعجبة:

- أنت تعرفيني؟

ردت والإبتسامة لا تفارق وجهها:

- طبعاً.

- إزاي وأنا عمري ماشفتك قبل كدة؟

ردت عليها بلهجة واضح بها الحنان:

- صحيح أنتِ عمرِك ماشفتيني، لكن أنا أعرفك وبحبك قوي.

ابتسمت عبير وبداخلها دهشة وخوف في آن واحد:

- بتحبيني كمان؟!!

قالت مأكدة كلامها:

- أيوة بحبك قوي.

قالت عبير أول سؤال خطر على عقلها:

- أنت تعرفيني منين؟ شفتيني فين؟

نظرت إليها الفتاه صامته دون أن تتحرك، بطريقة جعلت الخوف يزداد بداخل عبير، لذا تركتها عبير ومشيت، وعندما سمعتها تنادي مرة أخرى جرت سريعاً وعادت إلى منزلها تفكر فيما حدث.

.....

"وليد" شاب عاش عمره بأكمله في دار للأيتام، وحين كبر عمِلَ في الدار بجانب عمله الآخر في محل للموبيليا، لا يوجد لديه أحد في هذه الحياه إلا "أميرة" الفتاه الجميلة التي ظلت طيلة فترة وجوده في الدار بجانبه.

عاد "وليد" من عمله الساعة العاشرة مساءً، و فوجئ "بأميرة" جالسة أسفل شجرة على أرض حديقة الميتم شاردة تبكي، اقترب منها قائلاً:

- مالك يا أميرة؟

نظرت إليه أميرة بحزن قائلة.

- مفيش حاجة.

جلس وليد على الأرض بجانبها قائلاً.

- بقول لك مالك؟

ردت بصوت مختنق محاولة منع بكاءها من الإستمرار.

- بفكر في مستقبلي اللي مالوش ملامح؛ خلاص شهر وهاتطرد من هنا، هاتطرد من بيتي اللي اتعودت عليه وماليش غيره! هاروح فين وأعمل إيه؟! حتى حوار إني أشتغل هنا في الدار زيك علشان الاقي مكان أنام فيه قفلوه في وشي وقالوا لي مالكيش مكان.

وضع وليد يده على كتفها وهو يقول بإبتسامة هادئة:

- طول ما أخوك موجود في الدنيا ماتشيليش هم حاجة، هايطردوكي من بيتك بتعبك ومجهودك هاتسكني في بيت أجمل منه، وأنت إتعلمت هنا الخياطة يعني هاتطلعي وهاتلاقي الف مصنع يتمناك،

ردت "أميرة" بدون تفكير؟

- وهنام فين يا وليد لغاية ما أشتغل، هنام في الشارع؟ أنا مش عارفة أعمل إيه حقيقي؟

نظرت أميرة إلى الأرض و انهارت في بكاءها، رفع وليد وجهها إليه بيده ثم قال:

- وأنا روحت فين لما تنامي في الشارع؟

ابتسمت أميرة بسخرية ونظرت في الاتجاه الآخر وهي تقول:

- هو أنت أصلاً في استطاعتك حاجة تعملها لي؟

فهقه وليد ثم قال:

- لا ياهاتم مفيش حاجة أعملها لك أصل أخوك أهبل هايسيبك تنامي في الشارع ومش هايفكر فيكي؛ يا عبيطة أنا مابلعش من فلوس شغلي كل الوقت اللي فات ده؛ كل الحكاية إن مجاش وقت مناسب أقول لك فيه اللي مخطط له لكن مفيش وقت مناسب أكثر من دلوقتي.

قالت أميرة بتعجب:

- هو أنت مخطط لحاجة؟

- طبعاً، أنا عامل حساب كل حاجة، بصي ياستي، أنا بقالي ٥ سنين بشتغل وبكسب كويس من شغل الموبيليا أنت عارفة كل قرش من شغلي بشيله في البنك وتقريباً ماليش مصاريف شخصية يعني أكل و شرب كده حاجات بسيطة ف بالتالي شيلت مبلغ كويس نتسند عليه أنا وأنت لما نخرج، اتطمني بقى قبل ماتخرجي ها يكون فيه شقة متأجرة لك، ومفروشة كمان فرش بسيط على قد فلوسي وأنا نفس النظام برضو لاني ها يبقى رجلي على رجلك مش هاسيبك، أخوكي هايفضل في ضهرك العمر كله.

"أميرة" تستمع إلى وليد وهي في قمة سعادتها ولكن الشئ الوحيد الذي أحنها للحظة نطق وليد كلمة "أخوكي" باستمرار!

مسحت "أميرة" دموعها وهي تقول:

- ربنا يخليك ليا يا وليد، أنا مبسوفة قوي إنك كنت بتفكر فيا وعامل حساب كل حاجة لما أخرج.

- مش لما أخرج؛ لما نخرج، أنا وأنت هانفضل سند لبعض و إيدنا في إيد بعض العمر كله.

تحول حزن أميرة إلى سعادة عندما تأكدت من أن وليد سيظل بجانبها وقالت:

- بإذن الله مفيش حاجة في الدنيا هاتفرقنا.

-باذن الله، هاسيبك بقى وأدخل أنام علشان أنتِ عارفة أنا عامل نظافة في الدار الصبح وبيع في محل موبيليا من العصر يعني مهدود.
- ربنا يعينك يارب يا وليد.

(بعد مرور شهرين)

الآن الإثنان بيدآن حياه جديدة خارج دار الأيتام ، بدأت أميرة العمل في مصنع من اليوم الثاني بعد خروجها.

بعد مرور شهر من خروجهم بدأت حياتهم تتحسن، أميرة عائدة من عملها وهي في طريقها، أتى من خلفها شابٌ قانلاً:

- حد قال لك قبل كده إنك زي القمر؟

لم تلتفت أميرة إليه وأكملت طريقها ثم قال مرة أخرى.

- أنا اسمي تامر، ساكن قريب من المصنع اللي أنتِ بتشتغلي فيه.

أنتظر تامر ردها لكنها لم ترد فقال:

- على فكرة أنا مش بعاكسك بس حابب أتعرف عليك.

وصلت أميرة إلى مكان الميكروباص وركبته، ركب وراءها تامر وجلس بجانبها، نظرت إليه أميرة غاضبة وقالت:

- هو في إيه؟

نظر إليها مبتسماً قانلاً:

- ما أنا قلت لك حابب أتعرف عليك.

- وأنا ما بتعرفش على حد، سييني في حالي وأنزل.

- مش هانزل ومش هاتكلم معاك مادام عايزة كده.

صمتت أميرة وظل تامر أيضاً صامتاً خوفاً من أن يرتفع صوت أميرة، وتسبب له مشاكل، وصلت أميرة إلى مكان منزلها فقالت للسائق:

- على جنب لو سمحت.

أوقف السائق الميكروباص ونزلت أميره ونزل وراءها تامر، لاحظت أميرة نزول تامر وراءها، ولكنها أكملت طريقها بدون أن تعيره إهتمام، وصلت منزلها وفتحت الباب و دخلت، ذهبت إلى غرفتها وجلست على سريرها وأخرجت هاتفها من حقيبتها واتصلت "بوليد"، رد "وليد" قانلاً:

- الو.

ردت عليه أميرة بلهجة غاضبة مقررة مصارحته بملاحقة هذا الشاب لها، وبداخلها تتمنى إثارة غيرته عليها لكي تشعر بأنه يعشقها.

- أيوة يا وليد.

لاحظ وليد الغضب على صوتها فقال:

- مالك؟

وبدأت أميرة في سرد ما حدث.

- في واحد فضل ماشي ورايا وبيعاكسني لغاية ما دخلت البيت.

أحس وليد بالغضب الذي أصبح واضحاً على صوته وهو يقول:

- تعرفيه مين ده؟

- قال لي إسمه تامر وساكن جنب المصنع اللي بشتغل فيه.

صمت وليد قليلاً يفكر ماذا يفعل ولكن بلا فائدة فقال:

- طيب لو حصل ثاني بهدليه وفرجي عليه الناس علشان مايتجرأش ويكررها.

فتحت أميرة نافذة الصالة لتهووية المنزل، ولكنها فوجئت بتامر جالساً على مصطبة أمام منزلها، فشبهت قائلة:

- الحق يا وليد، ده قاعد تحت البيت.

نهض "وليد" وتحول شعور الغيرة الذي أحس به إلى قلق لأن "أميرة" تسكن بمفردها، اتصل "وليد" بصاحب المتجر الذي يعمل به لكي يستأذنه للخروج من المحل لظرف طارق، وافق صاحب المتجر، ذهب "وليد" إلى منزل "أميرة" ورأى الشاب جالساً أمام الباب، فأخرج هاتفه واتصل بـ "أميرة"، فتحت النافذة وهي ترد قائلة:

- الو.

رد وليد قائلاً:

- اللي قاعد قصاد البيت ده اللي بيعاكسك ولا واحد ثاني؟

ردت أميرة بقلق.

- هو أيوة بس أنت هاتعمل إيه؟

قال وليد غاضباً:

- إقفلني طيب.

ثم أغلق الهاتف وذهب إلى تامر الذي يتصفح (الفيس بوك) بدون إنتباه قائلاً.

- أنت تامر؟

عقد تامر حاجبيه بعدم فهم ثم قال:

- أيوة، أنت مين؟

ضربه وليد ضربة قوية على أنفه جعله ينزف، نهض تامر لكي يرد له الضربه، ولكن فوجئ بضربة أقوى في معدته جعلته يفقد توازنه، وبدأ حينها وليد ضربه كف تلو الآخر حتى اجتمع الناس في الشارع للتفريق بينهم، ولكن تامر سقط أرضاً فاقداً للوعي، حينها أحس وليد بالقلق على تامر لأنه لم يعتد على إيذاء أحد فحملة وذهب به إلى المشفى لإسعافه، عندما فاق تامر وجد إبرة المحلول في يده فقال بلهجة غاضبة:

- أنت مجنون يا عم أنت، أنت عملت كده ليه؟ ومين جابني هنا؟

رد وليد بهدوء:

- أنا اللي جيبتك، إهدى كده بقى، اللي حصل ده حصل علشان أنا اتعصبت جداً لما عرفت إنك بتعاكس أختي وروحت وراها البيت.

نظر تامر إلى الأسفل بخجل قائلاً:

- هي أختك، أنا آسف بجد.

- حصل خير بس اتمنى إن اللي حصل ده مايتكررش ثاني.

ضحك تامر وهو يقول:

- هاعمل كده ثاني إزاي بعد العلقة اللي اديتها لي!

ضحك وليد أيضاً، وأكمل تامر:

- على فكرة أنت غلبتني لإن النهاردة كنت ناسي نفسي في الأكل، ماكلتش طول اليوم، عارف أنت لو أنا واكل كويس كنت شفت مني وش ثاني خالص.

فهقه وليد وهو يقول:

- لا هو فعلاً واضح عليك إنك مش واكل، أنت أغمى عليك بسرعة قوي ده أنا ملحقتش أكمل ضرب.

- كل ده ومالحقتش، حرام عليك يا- أنت إسمك إيه؟

رد وليد مبتسماً:

- إسمي وليد.

- وأنا تامر.

عاد وليد إلى ضحكه عندما تذكر ما فعله به ثم قال:

- ما أنا عارف إسمك ياابني، أنت نسيت وللا إيه؟

من بعد هذا اليوم أصبح تامر صديق وليد المقرب ولكن طبعاً بعد صديقة طفولته أميرة.

وبعد مرور عدة أشهر

فرد وليد سجادة الصلاة وبدأ في صلاة الفجر، وبعد الانتهاء رفع يديه للأعلى ودعا الله دعاءه المعتاد قائلاً:

- أنا تعبت من كثر مابدي يومياً نفس الدعاء، لكن لسة عندي أمل يا رب تستجيب لي، يا رب، نفسي أشوف أهلي، نفسي أعرفهم، أنا عشت واحد وعشرين سنة في الدنيا عمري مااتمنيت حاجة غير كده، يا رب تحصل أي حاجة تقربني منهم وأقول ماما وبابا حتى ولو لمرة واحده في حياتي، يا ر...
يا ر...

قطع حديثه صوت هاتفه فنهض وحمل الهاتف من على الطاولة وجلس على الأريكة قائلاً:

- تامر.

أشعل تامر سيجارة بقداحته قائلاً:

- حبيبي، إزيك؟

نهض وليد وقال وهو يطبق سجادة الصلاة:

- الحمد لله، أنت عامل إيه؟

وضع وليد سجادة الصلاة على المقعد وجلس على الأريكة مرة أخرى وقال تامر؟

- عايزك في مشوار كده.

- فين؟

أحس وليد بغضب يملأ قلبه عندما قال له تامر:

- عرضت على أميرة نخرج سوى ووافقت لكن مصممة تكون أنت معانا.

أميرة فتاه طيبة ومحترمة وتعرف جيداً معنى الأخلاق الحميدة وتتعامل بها مع الجميع وغير ذلك فأنقة الجمال ... عيونها الخضراء، وشعرها الأشقر، وبياضها الناصع جعل الكثير يظن أنها أجنبية حتى ملامح وجهها تشبههم كثيراً ... ولكن كل هذا لم يكن يستطع أن يشفع لها الذنب الذي لم ترتكبه وهو تركها وهي طفلة رضية أمام مسجد ... عاملين الملجأ الذي عاشت عمرها بداخله يقولون لها إن أحدهم وجدها تبكي أمام مسجد وأتى بها إلى الملجأ، ولكن من والدها ووالدتها وأهلها هذا في علم الغيب ... والآن حتى الملجأ الذي كان يأويها أصبحت بدونه ... من الآن يجب عليها الاعتماد على نفسها فقط ... تمنى أن يكون لها صديقات خارج الميتم ولكن كل فتاه تقترب

منها أمله أن تصبح صديقتها تبتعد عنها بعدما تعلم أنها بلا أم وأب وعاشت عمرها بأكمله في الميتم، "أميرة" لا يوجد لها في هذه الدنيا مخلوق إلا شخصاً واحداً وهو "وليد" ... فهو بالنسبة إليها الأب والأم والأخ والصديق والحبيب لأنه الإنسان الوحيد الذي كان بجانبها من صغرها، والوحيد الذي عندما خرجت من الميتم كان يده في يدها وخرجاً معاً.

قال وليد بإنفعال وبصوت مرتفع:

- مش قلت لك ياتامر طلع أميرة من دماغك.

رد عليه تامر بنفس لهجته الغاضبة قائلاً:

- وأنا رديت عليك وقلت لك مش هاطلعها، وخلص هي وافقت نقرب من بعض أنت متضايق ليه بقى؟

أغلق وليد الخط بدون رد واتصل بأميرة ... تركت أميرة (ريموت) التلفاز من يدها وحملت الهاتف و ردت قائلة:

- ابن حلال ... كنت لسة هاكلمك.

تحدث وليد بصوت مرتفع قائلاً:

- ابن حلال ولا ابن حرام دي حاجة الله أعلم بيها ... الحاجة الوحيدة اللي أعرفها إنك أختي ولازم أحافظ عليك.

ارتسمت علامات الدهشة على وجه أميرة ثم قالت:

- في إيه يا وليد ... مش فاهمة مالك؟

خبط وليد بيده على الطاولة وهو يقول:

- أنت إزاي توافقني تقابلي تامر؟

بدأت أميرة التحدث بصوت مرتفع مثله وهي تقول بإنفعال:

- ما انا قلت له مش هاقابله غير وأنت معانا متضايق ليه بقى؟

حاول وليد السيطرة على إنفعاله ولكن لم يسطع فرد قائلاً بصوته المرتفع الذي أشعل الغضب أكثر بداخل أميرة:

- لا يا أميرة لأ... ماينفعلش يبقى ليكي أي صلة بيه.

حاولت أميرة أن تمنع النار المشتعلة بداخلها من الخروج وقالت بهدوء لم تشعر به:

- أنت ليه مصمم ماقربش منه ... مش ممكن يكون بيحبني بجد ويتجوزني.

ظل يتحدث وليد بإنفعال قائلاً:

- لا بيحبك ولا هابتجوزك ... تامر مالوش في الحب والجواز.

أحست أميرة بهدوء مفاجئ عندما لاحظت غيرة وليد عليها فقالت بدون مقدمات:

- وليد، أنت بتحبني صح وبتغير عليا؟

ارتبك وليد خوفاً من أن يكون حقاً إنفعاله بسبب عشقها، ولكن كذب نفسه؛ لأنه لا يريد لها تتعلق به وهو لا يستطيع زواجها الآن لأنه يشعر بأن وقت تأهيله لتحمل مسؤولية زوجة وأطفال لم يأت بعد.

- بحبك إيه وكلام فاضي إيه؟ يا أميرة أنتِ أختي، عارفة يعني إيه أختي، يعني يهمني محدش يلعب بمشاعرك ويجرحك.

لم تستطع أميرة الحفاظ على هدوءها وردت قائلة بغضب:

- ليه بتقول كده ... شفت منه إيه يخليك تحس إنه هايجرحني؟

وبدأ الشجار بينهم بالانشغال، رد وليد عليها قائلاً:

- ماشفتش بالعكس دايماً بيحاول يحسني إنه مش بتاع بنات وماشني مستقيم ... مايعرفش إن أنا مش غبي وعارف هو إيه كويس.

- طب عرفني ... عرفت منين؟

- من موبايله اللي مابيبطلش رن ... مرة أختي مرة بنت خالتي ومرة بنت عمتي ... ومن نظراته ع الراححة والجاية بطريقة مش مضبوطة ... من كلامه على بنات الناس ... أقول لك ثاني؟

هبطت دموع أميرة بحزن فهي لاتريد من الحياه أكثر من شخصاً يعشقها ويتزوجها لتكون معه أسرة سعيدة حرمت منها، كانت تتمنى أن يكون هذا الشخص "وليد" ولكن "وليد" دائماً يجعلها تشعر إنها مستحيل تكون بالنسبة إليه أكثر من أخت.

- لا خلاص ماتقولش ثاني ... لاني عارفة كويس أنت بتحاول تبعدني عنه ليه ... شايف اللي زيي صعب تحب وتتحب ... اللي زيي اتخلقت في الدنيا علشان تعيش في عذاب وبس ... لكن لا ياوليد ... أنا من حقي أعيش زي كل البنات ... من حقي أحب وأتجوز وأخلف وأكون الأسرة اللي أنا إتحرمت منها ... وهاقرب من تامر أكثر علشان مرتاحه له وحاسه إنه بيحبني بجد.

أحس وليد بالحزن على صديقتة، ولم يعلم كيف يفتعها بما يشعر به فهو يشعر بجانب غيرته عليها أن تامر إنسان مستهتر وغير موثوق به ... كيف يثبت لها الآن إنها تريد الاقتراب من إنسان خاطئ؟ تنهد محاولاً الكلام بصوت هادئ قائلاً:

- يا أميرة إفهمني أرجوك ...

قطعت أميره حديثه قائلة:

- أرجوك أنت ياوليد ماتوقفش في طريق سعادتني.

تنهد وليد بضيق ثم قال:

- يا أميرة أنا يهمني تكوني ماشية في الطريق الصح.

كان يتمنى وليد أن تقتنع بكلامه ولكن لم يحدث وردت قائلة:

- بإذن الله طريقي مع تامر يكون صح.

حينها أحس وليد إنه لم يستطع السيطرة على قرارها فقال لها وهو يشعر بضيق:

- مصممة يعني؟

- أيوة.

- تمام بس أنا بقول لك تاني ياأميرة تامر مايبحكيش ... ومش هاقول أكثر من كده بس عموماً ربنا يوفقك ويصلح حاله ... سلام.

أغلق وليد الخط وبداخله بركان من الغضب ... فهو يعلم جيداً أن تامر شخص غير مسؤول ولا يمكن الوثوق به ولكن كيف يستطيع إثبات هذا للأميرة، هو مضطر الآن لأن يتركها وشأنها إذا تامر هداه الله لها فستكون حياتها معه أفضل من حياتها بجانبه هو؛ لأنه مادياً أفضل منه وسيجعلها تعيش حياة مرتاحة لاينقصها شئ ووليد لايريد أكثر من سعادتها وإذا لم يحدث سنكتشف "أميرة" بنفسها حقيقة "تامر" وتعلم إنه كان على حق وحقاً يخشى جرحها.

(بعد مرور أربعة أشهر)

"أميرة" جالسة على الأريكة وتشاهد التلفاز وهي تتحدث مع "تامر"، قال بصوت هادئ:

- أنا بحبك قوي ياأميرة، أنت أجمل وأطيب وأجدع إنسانة عرفتها في حياتي.

ابتسمت أميرة لأنها تمننت كثيراً أن تشعر بهذا الشعور وتستمع إلى كلام العشق الذي لم تسمعه أبداً من قبل ثم قالت:

- وأنت كمان طيب جداً وجدع.

فكر تامر قليلاً ثم قال:

- تتجوزيني؟

أحست "أميرة" بسعادة كبيرة عند سماعها هذه الكلمة، فرغم معرفة "تامر" حقيقة تربيتها في الميتم يريد الزواج بها فقالت مبتسمة بسعادة:

- أنت بتتكلم بجد؟

- طبعاً.

قالت أميرة بدون تفكير:

- وأنا موافقة.

ابتسم تامر أيضاً قائلاً:

-بس هانتجوز عرفي لفترة مؤقتة لغاية ما أقنع أهلي.

ثم تكلم بجدية جداً وقال:

- للأسف لما قلت لأهلي إن أنا عايز أتجوزك رفضوا تماماً ... أكيد أنتِ عارفة ليه؟

تحولت سعادة أميرة إلى حزن قوي وقالت:

- عارفة للأسف، بس أنا مستحيل أتجوز عرفي.

- يا أميرة إفهميني أن... ..

قطعت أميرة كلامه قائلة:

- ماتحاولش تقنعني علشان الكلام بالنسبة لي في الموضوع ده منتهي.

صمت تامر يفكر كيف يقتعها وبعد صمت دقائق قال تامر:

- هاقفل معاك طيب دلوقتي.

- ماشي ياتامر، سلام.

.....

جلس "عبد الحافظ" على الأرض بجانب زوجته ووضعت ابنته أمامهم (فسيخ ورنجة) ثم جلست قائلة:

- حد في الدنيا تطلب معاه الأكلة دي الساعة سبعة الصبح ياياها؟

فهقه والدها ثم قال:

- عارفة كان ليا واحد صاحبي مايبحلالوش الأكلة دي غير الصبح ... كنا يومياً نفطر بيها.

حملت ابنته الخبر وهي تقول:

- هو أنتوا كنتوا كل يوم الصبح مع بعض؟

حمل هو أيضاً الخبز وبدأ في تناول الطعام وهو يقول:

- احنا كننا بنبات مع بعض أصلاً.

- شكلكم كنتوا قريبين قوي من بعض، طب هو راح فين؟

شعر "عبدالحافظ" بحزن كبير يدخل قلبه عند سماعه هذا السؤال وقال:

- موجود لكن خلاص مايققاش نعرف بعض دلوقتي.

أحست هدير إبنته بفضول لمعرفة السبب الذي يجعل صديقين مقربين مثلهما للفراق عن بعضهما فقالت:

- إزاي بس وليه؟

لا يستطيع عبدالحافظ ذكر السبب فإكتفى بقول:

- لأنه غلط غلطة كبيرة قوي مستحيل أسامحه عليها.

- بس أنت واضح إنك لسة بتحبه.

- لأ ... أنا ممكن إشتاقت لأيامي معاه أنا كنت معاه فترة شبابي يعني أجمل أيام حياتي ... لكن ربنا يسامحه بقى.

قالت زوجته وهي تقطع قطعة خبز:

- ناكل الأول طيب وبعدين نرغي براحتنا.

بدأت زوجته وابنته في تناول الطعام في صمت ولكن "عبد الحافظ" حمل الخبز في يده وشررد ذهنه في الماضي ... تذكر "سمر" صديقة شقيقته وهي تقول له وهي جالسة أمامه في الكافيه مبتسمة:

- أديني جيت لك أهو ... طلبت تقابني ليه بقى؟

حمل العصير ورشف منه ثم قال:

- أنت مش عارفة يعني يا "سمر"؟

حملت هي أيضاً الكوب قائلة:

- هاتقول بحبك صح؟

رد عليها بدون تفكير

- أيوة أنا فعلاً بحبك ... أنا حبيت نتقابل النهارده علشان أعرف إيه نهاية حبي ... هاكمل معاك ولا لوحدى.

حاولت سمر بقدر المستطاع ألا تجرح مشاعره فهو بالنسبة إليها أخ عزيز لا تريد فقداه.

- أنت عمرك ماهاكون لوحدك لإنك برضو هاتفضل معايا لكن كأخ مش حبيب ... ربنا يعلم قد إيه أنت غالي عندي ... أنت بالنسبة لي أخويا حقيقي مش كلمة وبس.

أحس "عبدالحافظ" أن الكلام يدخل قلبه كالكسين ... كان يتمنى أن يعود من هذه المقابلة ويده في يدها حبيبين ولكن قال محاولاً إظهار التماسك:

- أفهم من كده إن مفيش أمل تحبيني؟

ردت بدون تفكير ولو للحظة:

- للأسف صعب تتغير مشاعري تجاهك.

في هذه اللحظة شعر "عبدالحافظ" بقلبه يُكسر، فهي تشغل كل تفكيره، محتلة حياته، دائماً يفكر في كلامها وضحكها وحزنها يعشق كل حركاتها ويتذكرها، رد عليها "عبدالحافظ" بالسؤال الذي خطر على ذهنه حينها؟

- ليه ياسمر طيب؟ ... أنا فيا حاجة مش عاجباكي؟

- المشكلة مش فيك والله ياعبده ... المشكلة عندي أنا.

- إزاي؟

ظلت "سمر" صامته لحظات لا تدري ماذا تقول ... "سمر" تعشق صديقه ولكن صديقه لا يريد لها تتحدث عن علاقتهما ولكن الآن يجب أن تتحدث ويعرف "عبدالحافظ" أنها تعشق شخصاً آخر ليعرف أن رفضها له ليس لعيب تراه فيه.

- بصراحة أنا بحب واحد ثاني.

بعد سماعه هذه الجملة أحس أن لافاندة من الحديث أكثر فقال:

- ربنا يوفقك ياسمر.

- ويوفقك أنت كمان ياعبده يا رب.

ولكن حبه لها جعل القلق عليها يشتعل بداخله بجانب الغيرة.

- أنت واثقة طيب من اللي بتحبيه ده؟

ردت سمر بدون تردد لحظة واحدة:

- واثقة فيه جداً أكثر من نفسي.

قال "عبدالحافظ" والفضول يزيد بداخله:

- مين هو طيب؟

ترددت سمر قبل أن تقول:

- ماهو بصراحة وأكد عليا محدش يعرف بارتباطنا.

- أنت عارفة أن أنا عايز اتطمئن عليك مش أكثر من كده ... يعني ماتقلقيش مش هاعمل لك أي مشاكل.

صمتت سمر قليلاً وهي تفكر تقول له من هو أم من الأفضل تخفي، ولكن رغم خوفها من حدوث مشكلة بينهم قررت مصارحته؛ لكي تحافظ على صداقته خوفاً من أن يعرف من أحد غيرها قائلة:

- أنا بحب حسين صاحبك.

نظر إليها في ذهول قائلاً:

- يعني إيه بتحبي حسين؟ ... وإزاي حسين مقاليش؟

- حسين مش عايز أي مخلوق يعرف غير لما يكون في حاجة رسمي.

أحس "عبدالحافظ" أن نار تشتعل بداخله ... لا يدري كيف "حسين" ظل صامتاً ولم يعترف له بحبه لـ "سمر" رغم حديث "عبدالحافظ" عنها له دائماً ويوحه بحبه لها.

نهض "عبدالحافظ" قائلاً:

- يلا نمشي.

أحست "سمر" أنها ارتكبت خطأ كبيراً يخسر بسببه الأصدقاء بعضهم ... حاولت أن تجعله يجلس معها أكثر لكي تحاول إصلاح ما أفسدته قائلة:

- هانمشي من غير مانشرب حاجة؟

لكن رد عبدالحافظ بصوت مرتفع قائلاً:

- يلا نمشي ياسمر.

غضبه الزائد جعل "سمر" لا تطيل الحديث أكثر وقالت:

- حاضر.

نهضت "سمر" وخرجا معاً، "عبدالحافظ" يسير بخطوات سريعة جداً من شدة غضبه ، وقالت سمر وهي تحاول تسير سريعاً لتكون بجانبه:

- إيه اللي حصل خلاك تقوم بالطريقة دي؟

- اللي حصل إن حسين عارف إن أنا بحبك ... إزاي مايقولش إنكم بتحبوا بعض؟

قالت سمر وهي تلتقط انفاسها سريعاً لأنها بدأت سرعة سيرها تجهدها:

- ماهو أكيد ليه وجهة نظر في كده.

- أهو أنا بقى عايز أفهم إيه وجهة نظره دي.

أوقف "عبدالحافظ" تاكسي وأخذ يدها ثم قال:

- اركبي التاكسي وإرجعي على بيتك.

- طب وأنت؟ راجع على البيت؟

- لأ ... رايع لصاحبي.

ذهب "عبدالحافظ" إلى منزل "حسين" ... وهو من فتح له الباب ... لاحظ "حسين" الغضب المرتسم على وجه صديقه فقال له:

- مالك ... في ايه؟

- أنت بتحب سمر يا حسين؟

شرد "حسين" عند سماعه سؤال صديقه ... لا يعلم ماذا يفعل وهو يعلم جيداً أهمية سمر بالنسبة إليه ... ماذا يقول له؟ ... هل يقول إنه يعشقها؟ ... أم يظهرها كاذبة؟ ... أم يعترف بالحقيقة ويقول إنها بالنسبة له ليست أكثر من فتاه رخيصة- يأخذ منها مايشاء ... ظل "حسين" صامتاً حتى قال "عبد الحافظ":

- ماترد يا حسين في ايه؟ ولا بلعت لسانك؟

أمسك حسين يده ورد قائلاً:

- تعالى ادخل بس نتكلم جوة.

شد "عبد الحافظ" يده وهو يقول:

- مش هادخل ... فهمني هنا.

انتظر "عبد الحافظ" إجابة ولكن عاد "حسين" إلى صمته مرة أخرى فقال "عبد الحافظ" بصوت مكسور:

- مادام بتحبها ماقولتليش ليه؟ ... علشان دايماً بقولك اني بحبها صح؟

رد حسين قائلاً:

- هي اعترفت بحبها ليا وقتها ماقدرتش اتجاهل إحساسي ... أنا آسف يا "عبد" ... حبيبتها واتعلقت بيها وخفت أقول لك أخسرك.

لم يخبره "حسين" على محاولاته التي استمرت شهور للتقرب من "سمر" ولكن فضل الكذب أملاً مسامحة صديقه ...

أحس "عبد الحافظ" أن قلبه يتمزق ... صديقه وحبيبتة يعشقون بعضهما بدون علمه ... وضع يجرح قلب أي إنسان.

- بس كنت لازم تقول لي.

قالها "عبد الحافظ" ثم تركه وذهب.

(بعد مرور خمسة أشهر)

"سمر" جالسة تفكر ... ماذا تفعل في المصيبة التي ادخلت نفسها بداخلها؟ ... ماذا تقول لوالديها؟ ... كيف تواجه المجتمع والناس؟ ... بعد تفكير استمر نصف ساعة، حملت سماعة الهاتف واتصلت بصديقتها "عبد الحافظ" ... رد "عبد الحافظ" قائلاً:

- ألو.

قالت سمر بصوتاً باكياً:

- عبده.

ولم تكمل فقال عبدالحافظ:

- في إيه؟ حسين زعلك؟

ردت سمر بدون مقدمات.

- أنا حامل.

قال عبدالحافظ بدهشة:

- نعم؟

هبطت الدموع من عين سمر كالمطر ثم قالت:

- أنا حامل في الشهر الرابع، ربنا ساترها معايا لدلوقتي وبطني ماكبرتش قوي، لكن ده مايمنعش انها كبرت وبقيت دايماً بلبس واسع جداً علشان محدش ياخذ باله لكن مش هاعرف أداري أكثر من كده، كل اللي حواليا مستغربين مني ومن الهدوم اللي بلبسها وإنطواني طول الوقت في أوضتي، عبده أنا هاتجنن مش عارفة اعمل إيه، أن....

قطع عبدالحافظ حديثها قائلاً بانفعال:

- ممكن تفهميني واحده واحده، يعني إيه حامل وأنتِ مش متجوزة أصلاً؟

- يعني أنا حظيت رأس أهلي في الأرض وغلطت مع حسين مرة واثنين وثلاثة وعشرة، هاتقول من غير جواز، آه ياعبده من غير جواز، عارف ليه؟ علشان ماشفتش من أهلي غير الضرب والقسوة وبس، أنا كبيرة كده ياعبده وبتضرب ... وأول حد يحضني بحب ويحسني بحنان كان حسين ... أول حد حسني إن الدنيا ماتسواش عنده حاجة من غيري كان حسين ... وأول حد كان محسني إن أنا ملكة وليا قيمة حتى في أكثر لحظات الغلط كان حسين.

ثم خففت صوتها واحست بنبضات قلبها المكسور وهي تقول:

- وأول حد باعني برضو حسين.

ظل "عبدالحافظ" صامتاً لايدري ما يقول ... يشعر بالذنب لأنه سمح لهذه العلاقة أن تستمر وظل يرويها باهتمامه آملاً أن يأتي يوماً ويخرج من داخله حب "سمر" ويتقبل صداقتها ولكن لم يستطع فهو إلى الآن يعشقها.

- أنا عارفة انك مذهول ومش مصدق اللي سمعته ... لكن ده اللي حصل ... والنتيجة إن أنا حامل ... حاولت كتير أنزل الجنين قبل مايتكون لكن ماقدرتش ... روحت لدكاترة وقلت لهم عايزة أنزل الجنين رفضوا وحالياً أنا هاتجنن ومش لاقية غيرك ألجأ له بعد ما "حسين" سابني ومش موافق ابداً يتجوزني.

قطع تفكير عبدالحافظ صوت زوجته وهي تقول:
- بقالك ساعة ماسك لقمة العيش في إيدك ومابتاكلش ... سرحان في إيه؟
وضع عبدالحافظ الخبز داخل الطعام بأصابعه وهو يقول:
- لا مفيش هاكل أهو.

في الساعة الخامسة مساءً، "سعاد" زوجة "حسين" وابنتها في منزل والدتها من البارحة لتعب والدتها المفاجئ لذا أحست بالقلق عندما اتصلت كثيراً بهاتف زوجها ويعطيها مغلقاً ... ذهبت إلى ابنتها في غرفة أخرى قائلة:

- يلا نمشي يا "عبير".

أمسكت "عبير" يد جدتها ثم قالت:

- لا ياماما بالله عليك عايزة أقعد مع تيتة شوية كمان.

ثم قالت والدة سعاد بضيق:

- مش حسين قال هاييجي يتظمن عليا وتمشوا سوى ... مستعجلة ليه؟

- أنا حاولت أتصل الصبح بحسين تليفونه مقفول قلت ممكن فصل شحن منه وهو نايم لكن لغاية دلوقتي تليفونه ماتفتحش وهو مايقفلش الموبايل علشان الشغل ... قلقنت عليه ياماما وعايزة أتظمن.

ابتسمت والدتها برضا ثم قالت:

- ماتقلقيش خير بإذن الله ... خلاص روجي اتظمني عليه وطميني.

- حاضر ياماما.

قالتها ثم نظرت إلى عبير قائلة:

- يا عبير ... قومي بقي.

قبلت عبير جبين جدتها بحب وهي تقول:

- خلي بالك من نفسك وخدي العلاج في ميعاده.

ضممتها جدتها قائلة:

- ربنا يخليك ليّ يا حبيبتي.

ثم قالت سعاد وهي تقترب من والدتها:

- وإحنا هانجيلك تاني ياماما بكرة وهانظمن بنفسنا انك بتاخدي علاجك بنظام.
استندت والدتها على السرير لشعورها بدوار خفيف ونهضت قائلة:
- أنا عارفة يا حبيبي أنت طول عمرك بتاخدي بالك مني وعمرك ما قصرتي معايا ... ربنا يخليك ليّ يارب.

ضمته سعاد وهي تقول:

- ويخليك ليّ ياست الكل.

ثم قبلتها على خديها وأخذت إبنتها وذهبت.

وصلا إلى المنزل، ولكن المنزل غير منظم الدولاب مفتوح وفراش السراير ملقاه على الأرض
وعندما بحثا على أغراضهم علما أن المنزل مسروق... ولكن أين حسين؟
بحثت "سعاد" عنه في كل مكان ولا تجده انتظرت وقالت سوف يعود ولكن لم يعد ومن هذا اليوم
"حسين" إختفى تماماً ولا أحد يعلم عنه شيئاً.

2- لقاء

جلس "تامر" بجانب "وليد" على الأريكة وهو يقول:

- أنا عايز أتكلم معاك في موضوع.

نظر إليه وليد باهتمام ثم قال:

- خير ياتامر ... في إيه؟

نظر تامر إلى الاسفل بخجل ثم نظر إلى وليد مرة أخرى.

- أنا خايف تفهمتني غلط.

- ماتقلقش مش هافهم غلط ... في إيه؟

وساد الصمت قليلاً وتامر يفكر كيف يبدأ الموضوع ولكن قال بدون مقدمات:

- أنا عايز أتجوز أميرة عرفي لكن هي مش موافقة ... هي مفتتة...

وقطع وليد حديثه منفعلًا قائلاً:

- أنت اتجننت ياتامر، يعني إيه تتجوزها عرفي ... لا وكمان بتقول لي أنا الكلام ده؟

تنهد تامر بضيق ثم قال:

- كنت عارف إنك هاتفهم غلط ... جوازنا العرفي هايكون لفترة مؤقتة بس إفهم قبل ماتحكم

نهض وليد غاضباً ثم قال:

- اطلع برة ياتامر وماتجيش جنب البيت ده تاني ولو سمعت إنك كلمت أميرة تاني مش هايحصل لك كويس.

لم يخطر على مخيلة تامر مافعله وليد فنهض قائلاً بصوت مرتفع غاضب:

- أنت بتطردي يا وليد؟

أجاب وليد بلهجة باردة.

- أيوة بطردك ... إطلع برة.

اقترب تامر بجانب باب الخروج ثم قال:

- وأنا كنت هانتظر ايه من واحد تربية ملجأ زيك.

تجدد حاجبي وليد بدهشة ثم قال:

- أنت بتكلمني أنا بالأسلوب ده؟

- بالضبط بكلمك أنت ... ماهو اللي مالوش أم ولا أب يعلموا الغلط من الصبح كنت لازم اتوقع منه أي حاجة.

تكلم وليد بهدوء وهو يحاول أن يخفي النار المشتعلة بداخله:

- مادام أنت شايفني بالصورة دي صاحبتني ليه؟

- علشان أعرف أقرب من أميرة.

أحس "وليد" أن قلبه يتمزق في تلك اللحظة، فرغم عدم ارتياحه إلى "تامر" كحبيب ل"أميرة" كان يعتقد أنه صديق حقيقي له ... حتى لحظة طرده كان يدور في ذهنه إنه يعاقبه فقط على خطؤه في اتخاذ قرار الزواج العرفي من أميرة ... قال وليد بذهول:

- نعم!

رد تامر بلسان قاسي فقد كل معاني الرحمة:

- أيوة صاحبتك علشان أقرب من أميرة ... كنت عاملك كوبري من الآخر.

لم يستطع "وليد" أن يتمالك أعصابه أكثر فخطب بقدمه الطاولة التي أمامه وهو يقول بصوت مرتفع

- على فكرة اللي ملقاش حد يربيه هو اللي بيلعب بينات الناس وماعدوش أخلاق زيك كده بالضبط

ثم اقترب من "تامر" وفتح باب الخروج ودفعه للخارج قائلاً:

- مش عايز أشوف وشك هنا تاني.

ثم أغلق الباب وبدأ في البكاء ...

بعد مرور ربع ساعة ... حمل "وليد" هاتفه واتصل ب"أميرة" ... ردت "أميرة" قائلة:

- إزيك يا وليد؟

سمع وليد صوت العربيات حولها فقال:

- أنت فين؟

- أنا لسة طالعة من الشغل بس بشتري شوية حاجات للبيت.

سألها وليد على تامر قائلاً:

- تامر كلمك؟

لم تفهم أميرة لماذا يسأل هذا السؤال ولكن قالت:

- تقصد دلوقتي؟

رد عليها قائلاً:

- أيوة.

- لا ماتصلش.

- طيب لو اتصل اوعي تردي عليه:

قالت أميرة بتعجب:

- ليه؟ في إيه؟!!

- لما ترجعي البيت هاحكي لك اللي حصل.

- حاضر ... طب إقفل دلوقتي ونتكلم أول ما أوصل البيت.

- ماشي ... سلام.

- سلام.

سيطر شعور القلق على "أميرة"؛ لأنها تمننت أن تكمل حياتها مع "تامر" لتكون معه الأسرة التي تتمناها بعد أن فقدت الأمل من قرب "وليد" منها كحبيب... والآن يوجد بناء يكبر في مخيلتها عن حياتها مع "تامر" ولا تريد هدمه، فإذا هُدم سيتحطم أملها في أن تعيش حياة مستقرة وتكون عائلة، فقد أصبح "تامر" بالنسبة لها أكثر من عشق، فهو الإنسان الوحيد الذي أظهر لها عدم إهتمامه بتفاصيل حياتها في الملجأ ... الوحيد الذي أحست معه بأنها مثل بقية الفتيات، وأن عدم وجود والدها ووالدتها معها غير مهم بالنسبة إليه.

عادت "أميرة" إلى منزلها بعد نصف ساعة، دخلت غرفتها، وجلست على سريرها وأخرجت هاتفها من حقيبتها ثم اتصلت بـ"وليد"، رد "وليد" قائلاً أثناء ذهابه إلى المحل الذي يعمل به:

- ألو.

- أيوة ياتامر.

رد تامر قائلاً:

- بتعيطي، يبقى "وليد" قال لك اللي حصل عموماً...

- ممكن تسكت وتبطل رغي.

قالتها أميرة بصوت غاضب فصمت تامر ليستمع إلى ماتريد قوله.

- أنا متصلة علشان أقول لك "وليد" اللي أنت أهانتة ده راجل أحسن من مليون عيل من عينتك، "وليد" عمره ماضك على بنت وعمره ماصاحب حد علشان مصلحته، "وليد" راجل يا "تامر" عارف يعني إيه راجل؟ أكيد طبعاً ماتعرفش.

قالتها ثم أغلقت هاتفها قبل أن يرد وبعد هذه المكالمة إنتهيت قصتها مع تامر نهائياً.

عاد "عبدالحافظ" إلى منزله بعد ساعات عمل متعبة، دخل إلى غرفته وبدل ملابسه ثم استلقى على السرير ليستريح قليلاً قبل تناوله الطعام، ولكنه غرق في النوم دون أن يشعر.

أنت إليه في الحلم "سمر" توقظه من نومه قائلة:

- عبده ... عبده.

فتح "عبدالحافظ" عينيه في الحلم قائلاً:

- سمر!

وأغلق عينيه وفتحها مرة أخرى ثم قال:

- أنا مش مصدق إن أنا شايفك!، أنا شايفك بجد مش حلم زي كل مرة؟ أنت كنتِ فين كل الفترة دي؟

- مش موضوعنا أنا فين.

قالتها ثم إقتربت منه أكثر قائلة:

- أنا مفيش حد بيقف جنبي غيرك.

- أقدر أعمل لك إيه طيب؟

- أنا روعي مش مرتاحة ومش هاترتاح غير لما تتكشف الحقيقة.

- إيه هي الحقيقة؟

استيقظ "عبد الحافظ" على صوت زوجته قائلة:
- أنت نمت يا عبده من غير ماتاكل ... قوم الأكل جاهز.
جلس "عبد الحافظ" وهو يفرك عينيه بيديه ثم قال:
- إيه ده ... أنا مكنتش بتكلم مع "سمر" بجد؟
وضعت زوجته الطعام على السرير، ثم جلست أمامه قائلة:
- سمر مين دي؟
- خلاص طلع حلم زي كل يوم.
قالت زوجته بغضب:
- أنت كمان بتحلم بيها كل يوم!
ظل "عبد الحافظ" صامتاً يفكر ثم قال:
- حاسس إنها عايزة توصلني لحاجة بالأحلام دي.
تنهدت زوجته بضيق قائلة:
- لا ده أنت اتجننت بقى!
ضحك "عبد الحافظ" لعلمه إن زوجته أغارت عليه ثم قال:
- هاحكي لك كل حاجة بس بعد ماتاكل.
وبعد تناولهم الطعام حملت زوجته الصينية إلى المطبخ ثم عادت إليه، وجدته واضعاً رأسه على الوسادة مستعد للنوم ... جلست بجانبه قائلة:
- عبد الحافظ؟
جلس "عبد الحافظ" وهو يقول ضاحكاً:
- يا اه بقالي كتير ماسمعتش حد بينادي عليا "بعبد الحافظ" ده أنا كنت قربت أنسى إسمي.
- ماتغيرش الموضوع ... مين سمر دي؟
تثائب عبد الحافظ ثم قال.
- طب أنام ولما أصحى هاحكيلك.
قالت بلهجة غاضبة:
- لا ... هاتحيلي دلوقتي.
حمل "عبد الحافظ" الوسادة الصغيرة، ووضعها فوق قدميه ووضع يديه فوقها وهو يقول:

- ماشي ياستي هاحكيك علشان ترتاحي بس هاحكي باختصار لاني تعبان ومهدود وعايز أنام.
- ماشي.

وبدا يسرد لها ما مضى.

- "سمر" كانت صاحبة أختي وحبيبة صاحبي، أنا كنت عارف انها على علاقة بصاحبي لكن ماكنتش أعرف إن صاحبي بيلعب بيها مش أكثر، حصل بينهم علاقة كذا مرة لغاية ما بقيت حامل بعدها "حسين" بقى بتهرب منها لغاية مافجأة "سمر" اختفت ومحدث عارف هي فين.

بدأت زوجته تفكر في حكايته قائلة:

- ممكن تكون هربت علشان حامل؟

- لأ مش ممكن لإنها كانت ولدت خلاص.

- طب إيه موضوع الأحلام دي؟

- أنا من يوم ما اختفت وأنا بحلم بيها أحلام غريبة.

بدأت نار الغيرة تزداد بداخل زوجته وقالت:

- شكلها شاغلة بالك قوي.

- "سمر" كانت غالية عندي مش هادب عليك ... لكن أنا الأحلام اللي بحلمها هي اللي شاغلة بالي

- على فكرة هي أكيد هربت واخذت ابنها خوفاً من المشاكل.

- الموضوع طويل جدا يا "ريهام" صدقيني ومش قادر أحميه لاني عايز أنام... لكن مستحيل انها تكون هربت هي وابنها.

- حاجة غريبة جداً!

قالتها ثم نهضت قائلة:

- طيب أنا هاخرج وهاسيبك تنام وترتاح ونكمل كلامنا وقت ثاني.

- ماشي ياريهام.

- تصبح على خير.

- وأنت من أهل الخير.

نام "عبدالحافظ" ساعتين ثم استيقظ على صوت باب غرفته يُغلق ... وقبل أن يغمض عينيه مرة أخرى لفت انتباهه السلسلة التي وضعت على وسادته بجانب رأسه ... حمل السلسلة ونظر إليها بذهول ثم نهض وخرج من غرفته ليبحث عن زوجته ... وجد زوجته في المطبخ أمسك السلسلة أمام عينيها وقال لها:

- إيه اللي جاب السلسلة دي جنبي؟

نظرت بتعجب قائلة:

- مش عارفة ... سلسلة مين دي؟

ذهوله ازداد من ردها فقال:

- يعني إيه سلسلة مين؟ هو مش أنتِ اللي حطتها على المخدة؟

- دي مش بتاعتي أصلاً ... أكيد لأ.

شرد عبدالحافظ لأنه أعطى سلسلة مشابهه لسمر، هل من الممكن أن تكون هذه السلسلة سلسلة سمر، ولكن كيف تكون هي؟ ومن وضعها بجانبه؟

(بعد مرور شهر)

خرجت "عبير" من منزلها لشراء مستلزمات للمنزل، ولكن عند وصولها لباب المنزل المهجور سمعت صوت الفتاة يناديها، اعتادت عبير على سماع هذا الصوت، فأصبحت يوماً تسمعه ولكن هذه المرة ظلت تفكر بتردد أتدخل مرة أخرى؟ أم تكمل طريقها؟

بعد دقيقتين من التفكير والصوت يتكرر: شعرت بالخوف من محاولة الدخول ثانية، وأكملت طريقها، ولكن عند عودتها فوجئت بباب المنزل مفتوحاً لها كما حدث في السابق.

حينها بدأ الفضول يزداد بداخلها لدخولها المنزل لكي تفهم ماذا تريد منها هذه الفتاه، ولكن خوفها يمنعها، بعد سير خطوتين سمعت الصوت يناديها مرة أخرى.

عادت إلى المنزل ووقفت أمام الباب في خوف فسمعتة مرة أخرى!!

حينها شجعت نفسها ودخلت المنزل، "عبير" حائرة بين فضولها وخوفها ... تريد التخلص من الرعب الذي أصبح جزءاً من حياتها من وقت سماعها هذا الصوت، بدخولها الى الداخل لتعرف ماذا تريد ... ولكن عندما سمعت اسمها مرة أخرى دخلت إلى الداخل بدون تفكير أكثر، دخلت الغرفة ذاتها وجدت الفتاة جالسة على الأرض مبتسمة كما رأتها المرة السابقة... ظلت "عبير" واقفة بدون كلام قلبها كاد يخرج إلى الخارج من شدة الخوف ... ظلت صامتة حتى قالت الفتاه:

- خوفتي مني ليه؟

ردت "عبير" بصوت هادئ يتضح الخوف به:

- ما أنا لازم أخاف، أنتِ قاعدة هنا إزاي أصلاً البيت المهجور؟

ردت الفتاه بنفس الإبتسامة:

- ده بيتي.

- بيتك إزاي يعني؟ بقول لك البيت مهجور!

- ده بيتي يا عبير.

تجاهلت "عبير" الحوار قائلة:

- طيب عايزة مني إيه؟ أقدر أساعدك بحاجة؟

- عايزة "وليد".

ظنت "عبير" أنها سمعت اسماً خاطئاً لأنها لاتعرف شخصاً بهذا الاسم وقالت:

- نعم!

ردت الفتاه قائلة:

- "وليد عبدالحافظ".

- مين "وليد عبدالحافظ"؟ وأجيبه ازاي؟

- محل "الشناوي" جنب قسم عين شمس.

قالتا ثم قالت بلهجة سريعة:

- امشي بسرعة مامتك بتنادي عليكي.

خرجت "عبير" بخطوات سريعة رغم عدم سماع والدتها لكنها كانت في قمة الرعب وهي واقفة أمام تلك الفتاة.

عادت إلى منزلها والخوف واضح على وجهها، دخلت المطبخ إلى والدتها وقالت:

- جبتك الطلبات أهي يا ماما.

أحست والدتها بخوفها وارتباكها فقالت:

- مالك؟

- مفيش إيدي بتوجعني بس علشان بقالي كتير واقفة بالكيس.

قالت والدتها بتعجب:

- بقالك كتير واقفة بيه ليه؟!!

صمتت "عبير" قليلاً قبل أن تقول:

- أحكي لك على حاجة ياماما بس أو عديني ماتز عقيش.

وضعت والدتها الغطاء على الطعام ثم قالت:

- تعالي طيب نقعد ونتكلم برة.

خرجتا إلى (الصالة)، وجلسنا على الأريكة وبدأت "عبير" في سرد ماحدث، بعد انتهاءها قالت والدتها بغضب:

- أنتِ مجنونة! ازاي تعملي كدة؟ إفرض كانت أدتك؟

- الغريب ياماما إن شكلها طيب جداً وكمان جميلة، بس متبهدة قوي وهدومها مقطعة.
قالت والدتها بلهجة حازمة:

- عبير، البيت دة ماتدخليهوش ثاني وعلى الله تدوري على "وليد" دة.

ردت "عبير" لتهديء والدتها فقط:

- حاضر ياماما.

ولكن في صباح اليوم التالي خرجت "عبير" مدّعية زاهية لصديقتها، ولكنها ذهبت إلى (قسم عين شمس) لتبحث عن محل (الشناوي) وهل يوجد محل حقاً بهذا الإسم أم لا؟

والغريب أنها وجدت المحل بجانب القسم حقاً، دخلت المحل وهي لا تدري ماذا تقول، وقفت أمام البائع الذي ينظر إليها منتظراً حديثها وقالت:

- حضرتك تعرف حد اسمه "وليد عبدالحافظ"؟

قالتها بعد لحظات تفكير ورد البائع

- أنا وليد عبدالحافظ ... مين حضرتك؟

- بصراحة في بنت باعتاني ليك هي عايزاك.

قال "وليد" -بتعجب فليس لديه أحد في هذه الحياه سوى "أميرة" فمن تكون تلك الفتاة التي تريده- :

- مين دي؟

- هو الموضوع غريب شوية لإني ماعرفهاش.

تعجب "وليد" أكثر فكيف تقول له عن فتاه تريده وهي لا تعرفها.

- إزاي يعني أنا مش فاهم حاجة؟

- طيب لو في كرسي أقعد ياريت لإني جاية من مسافة طويلة ومش قادرة أقف.

دخل "وليد" مسرعاً وهو يقول:

- أنا آسف بجد.

ثم عاد ومعه مقعد ووضعته في أول المحل قائلاً:

- اتفضلي.

دخلت "عبير" المحل وجلست قائلة:

- شكراً.

- العفو ... ها بقى فهميني.

- بصراحة الموضوع أغرب من الخيال ... مش عارفة هاتصدقني ولا لا؟

- هاصدقك بس قولي.

وبدأت "عبير" في سرد ما حدث، وبعد انتهاءها قال "وليد" وهو في حالة من الدهشة:

- تصدقي بقى إن أنا بقالي فترة بحلم ببنت بتقول لي عايزة "عبير" وأنا كنت هاتجنن عايز أعرف إيه تفسير الحلم ده!!!

اندهشت "عبير" أيضاً وقالت:

- اللي إحنا فيه ده أغرب من الخيال، يعني نفس البنت اللي قالتلي عايزة "وليد" جاتلك في الحلم بتقول لك عايزة "عبير"؟

- مش عارف هي ولا لا، بس ممكن أقول لك مواصفاتها، أنا فاكّر شكلها كويس لأنها كانت بتجيلي بطريقة واضحة جداً.

نظرت عبير إليه باهتمام قائلة:

- ياريت، قول مواصفاتها؟

- شعرها طويل لآخر ظهرها، وشها بيضاوي وعنيها وسط لا واسعة ولا ضيقة، ملامح وشها بريئة جداً، وكانت دائماً بتجيلي في الحلم لابسة هدوم مقطوعة من عند الكتف كدة و....

قبل أن يكمل حديثه قالت "عبير":

- هي على فكرة.

- سبحان الله ... طب ده معناه إيه؟

صمتت عبير قليلاً تفكر ثم قالت:

- هي عايزة توصلنا لبعض.

- طب توصلنا لبعض ليه أصلاً؟

صمتت عبير قليلاً ثم قالت:

- مش عارفة.

وساد الصمت بينهم لدقائق ثم قطعه "وليد" قائلاً:

- بصي احنا نعمل اللي هي عايزاه ونبقى على تواصل ببعض، وشوية شوية هانفهم ايه اللي مطلوب منا بالضبط.

أومات "عبير" رأسها بالموافقة وهي تقول:

- عندك حق.

قالتها ثم نهضت قائلة:

- طب اديلي رقمك وخذ رقمي علشان أمشي.

- ليه مستعجلة كدة؟

- علشان قلت لماما إنني رايحة لتيتة وعايزة الحق أروحها قبل ماتسأل عليا هناك، أمي خافت عليا لما حكيت لها اللي حصل، وقالت لي أوعي تدوري على "وليد" وأنا جيت من واراها.

- بصراحة هي عندها حق، الموضوع يخوف.

- فعلاً جداً، هاستأذنك أنا بقی.

ابتسم "وليد" قائلاً:

- طب والرقم؟

ضحكت "عبير" قائلة:

- آه صحيح.

ثم تبادلوا الأرقام وذهبت "عبير" إلى جدتها.

وفي منتصف الليل عاد "وليد" إلى منزله وأخرج هاتفه من جيبه وطلب رقم "أميرة"، ردت قائلة - ألو.

لاحظ "ولي" د صوت طرقات تأتي من عندها فقال لها:

- إيه الصوت ده؟

- اصل أنا بروق البيت.

- طب أقفل وأكلمك في وقت ثاني؟

- لا اتكلم اتكلم أنا حاطة الهاند فري في ودني والتليفون في جيبني ومظبطة نفسي، نتكلم عادي.

أسند "وليد" ظهره على الأريكة ثم قال:

- عايز أحكي لك حاجة غريبة حصلت.

- إيه اللي حصل؟

- مش أنا دايماً بحكيك على البنت اللي بتجيلي في الحلم بتقول عايزة "عبير"؟
تركت "أميرة" (الفوطة) التي كانت تنظف بها التراب وقالت باهتمام:
- أيوة طبعاً.

- عبير جات لي المحل النهاردة.

قالت أميرة بذهول:

- إزاي ياوليد، يعني "عبير" دي موجودة في الحقيقة؟

- طلعت موجودة أيوة.

- لا بقى ده أنا هاقعد وأركز لك.

قالتها ثم جلست على مقعد بجانبها وأكملت حديثها قائلة:

- ها بقى، احكي لي إيه اللي حصل بالضبط؟

- "عبير" جت لي وقالت لي تعرف "وليد عبدالحافظ"؟ قلت لها أنا، قالت لي انها في بنت قالتها
انها عايزاني، واخده بالك يا أميرة؟ يعني نفس اللي بتجيلي في الحلم بتقول عايزة "عبير"، "عبير"
شافتها في الحقيقة وقالت لها عايزة "وليد".

أحست "أميرة" أن عقلها دار من غرابة هذا الموضوع وقالت:

- موضوع غريب قوي، طب إيه عرفك إن هي هي البنت؟

- علشان وصفت لها اللي بشوفها في الأحلام وطلعت هي.

فكرت أميرة بطريقة سريعة ثم قالت:

- يعني البنت دي موجودة في الحقيقة، طب مانروح لها.

- ماهي بتظهر لـ "عبير" بطريقة غريبة جداً، زي العفاريت.

- بسم الله الرحمن الرحيم.

بدأ "وليد" يحكي شيئاً بداخله في شرود قائلاً:

- بس عارفة يا أميرة. أنا حسيت براحة مش طبيعية لما شفت "عبير"، حقيقي ارتاحت لها جداً
شكلها طيب قوي، ورقيقة جداً، وبابن عليها البراعة، وانها نضيفة من جواها.

- أنت لحت يا ابني ترتاح لها وتعرف عنها كل ده؟

- بنت وشها طفولي كده يا أميرة ... من الناس اللي تحبهم من أول ماتشوفهم.

شعرت "أميرة" بغضب عند سماعها "وليد" يتحدث هكذا عن فتاه أخرى، لأنها كانت تتمنى أن
يمدحها هي فقط ولكن حاولت إخفاء غضبها قائلة:

- إيه ياعم، أخيراً هاتحب وهافرح بيك؟
- ضحك "وليد" لأنه أحس أن عقل "أميرة" أخذها إلى مكان بعيد لم يخطر على مخيلته.
- حب إيه بس، من إمتى شفتيني بفكر في الحب، أنا مخرج الموضوع ده من حساباتي حالياً.
- بس الحب ده مالوش حسابات، ببيجي مرة واحدة كدة.
- كل ده علشان قلت لك مراتح لها، الإرتياح حاجة والحب حاجة ثانية خالص.
- ارتاح قلب "أميرة" الآن عند سماعها كلامه وأكمل "وليد" حديثه قائلاً:
- ماقولتيش إيه رأيك في اللي حصل ده؟
- والله ماعارفة يا وليد، هي حكاية غريبة قوي!!
- تحسيتها حاجة خيالية لو حكيناها لحد مش هاصدقنا.
- أيوة فعلاً، طب أنتوا قررتوا إيه؟
- جلس "وليد" وحمل الريموت وفتح التلفاز مستعداً لإنهاء الحوار قائلاً:
- احنا أخذنا أرقام بعض علشان نبقي على تواصل لو حصل أي جديد.
- يارب تعرفوا البنيت دي حكايتها إيه وعايزة منكم إيه.
- يارب، هاسيبك أنا بقى يا أميرة دلوقتي.
- نهضت "أميرة" لإكمال تنظيف منزلها وقالت:
- وأنا هاقوم أكمل شغلي.

.....

عند مجيئ "عبدالحافظ" من عمله دخلت زوجته المطبخ لتجهز الغداء المعتاد وجلست إبنته بجانبه على الأريكة قائلة بغضب:

- بابا ... في رسالة غريبة لاقيتها النهاردة في أوضتكم وأنا بروقها.
- نظر إليها والدها بدهشة قائلاً:
- رسالة إيه دي؟

- في واحدة اسمها "سمر" باعتهاك ومكتوب فيها كلام غريب جداً!
- قال "عبدالحافظ" بلهفة عندما سمع اسم سمر آملاً أن تكون عادت.

- هي فين دي؟

- أنا مارزيتش أقول لماما على فكرة علشان مايحصلش مشكلة.

قال "عبدالحافظ" بانفعال:

- فين الرسالة "ياهدير"؟

وضعت "هدير" يدها في جيب (الترنج) وأخرجت الرسالة قائلة:

- دي الرسالة إقراها وفهمني لإني من حقي أعرف إزاي ليّ أخ وماعرفش لدلوقتي!

بدأ "عبدالحافظ" في قراءة الرسالة.

(أنا محتاجة لك يا عبده، أنا ماليش في الدنيا غيرك ألجأ له، "وليد" راح مني يا عبده، راح خلاص، ابني اللي كنت بحلم بوجوده جنبي ليل نهار مش لاقياه، رجعت أجيبه من الملجأ لاقيت الملجأ محروق ومهجور، مش قادرة أتخيل، يعني معقول يكون مات؟، أنا عايزة ابني يا عبده مش بتقول إنه ابنك أنت كمان؟، رجعه لينا يا عبده)

بعد انتهاء قراءته نظر إلى ابنته قائلاً:

- أنت جيبتي الرسالة دي منين؟

- لاقيتها في أوضتكم.

- يعني إيه في أوضتنا، الرسالة دي "سمر" باعتها لي من زمان جداً، وضاعت خلاص، إزاي جت في أوضتنا؟

- مش ده موضوعنا يا بابا.

نهض "عبدالحافظ" حائراً يفكر، كيف لأشياء اختفت مع إختفاء سمر أن تعود إليه من جديد، من يجلبها؟ ولماذا؟

دخل غرفته شاردأ والذي جعله ينتبه صوت "سمر" الذي سمعه يقول:

- نسيت وعدك ليّ يا عبده؟

حدث "عبدالحافظ" نفسه خائفاً:

- بسم الله الرحمن الرحيم، أنا حقيقي سمعت صوت "سمر" ولا بيتهياي؟

ظل منتبهاً لدقيقة حتى سمع الصوت مرة أخرى يقول:

- قسم عين شمس محل الشناوي.

قال "عبدالحافظ" والخوف يزداد بداخله بعد تأكده من سماعه صوت "سمر":

- سمر، أنت فين؟

أتاه صوت "سمر" مرة أخرى قائلاً:

- وليد.

- فين هو؟ فهميني ياسمر؟ طب أنت فين؟

إختفى الصوت تماماً، نهض "عبدالحافظ" وبدل ثيابه ثم ذهب إلى العنوان الذي سمعه من "سمر"

وسأل على "محل الشناوي" حتى وجده محل موبيليا بإسم الشناوي، دخله وقال للبائع:

- لو سمحت ... انا بسأل على واحد اسمه وليد.

رد "وليد" بدهشة!

- أنا "وليد"، مين حضرتك؟

- أنا عبدالحافظ.

نظر إليه "وليد" بصمت لحظات في ذهول ثم قال:

- بابا، أنت أبويا صح؟

شعر "وليد" بسعادة لا تصفها كلمات، فأى كلمة تصف شعور ابن أميته الوحيد في الحياه أن يجد والده ووالدته، وكل يوم يدعو الله بلقائهم، والآن يقف أمامه الشخص الذي تمنى رؤيته ولكن قال "عبدالحافظ" كلمة هدمت سعادة "وليد":

- للأسف ياوليد، أنا مش أبوك.

أحس "وليد" بتشتت، فكيف لا يكون والده واسمه يليه في بطاقته ... لكن إعتقد أنه شخصاً آخر يحمل إسم والده فقال:

- أنا آسف أكيد فهمت غلط، طيب حضرتك بتسأل عني ليه؟

- أنا صحيح مش أبوك الحقيقي لكن أنا عارف مين أبوك وأمك كمان.

قال "وليد" بإهتمام:

- مين؟

ثم تذكر إنه يكرر خطأه مع "عبير"، فدخل المحل وحمل مقعداً وعاد به قائلاً:

- اتفضل أقعد وعرفني كل اللي تعرفه.

جلس "عبدالحافظ" ثم قال:

- أنا هاحكي لك إبه اللي حصل من حوالي عشرين سنة قبل ماتيجي أنت للدنيا وبعد ماجيت

عام ١٩٩٩ م

سمر جالسة تفكر ماذا تفعل في المصيبة التي ادخلت نفسها بداخلها؟ ماذا تقول لوالديها؟ كيف تواجه المجتمع والناس؟ بعد تفكير استمر نصف ساعة حملت هاتفها واتصلت بصديقها عبدالحافظ ... رد عبدالحافظ قائلاً:

- الو.

ردت سمر بصوتاً باكياً:

- عبده.

ولم تكمل فقال عبدالحافظ:

- في إيه؟ حسين زعلك؟

ردت سمر بدون مقدمات:

- أنا حامل

قال عبدالحافظ بدهشة؟

- نعم!!

انهمرت الدموع من عين "سمر" كالمطر ثم قالت:

- أنا حامل في الشهر الرابع، ربنا ساترها معايا لدلوقتي وبطني ماكبرتش قوي، لكن ده مايمنعش انها كبرت وبقيت دايماً بلبس واسع جداً علشان محدش ياخذ باله لكن مش هاعرف اداري أكثر من كدة، كل اللي حواليا مستغربين مني ومن الهدوم اللي بلبسها وانطواني طول الوقت في اوضتي، عبده أنا هاتجنن مش عارفة اعمل إيه، أن.....

قطع "عبدالحافظ" حديثها قائلاً بانفعال:

- ممكن تفهميني واحدة واحدة، يعني إيه حامل وأنتِ مش متجوزة أصلاً؟

- يعني أنا حظيت رأس أهلي في الأرض وغلطت مع حسين مرة واثنين وثلاثة وعشرة، هاتقول من غير جواز، آه ياعبده من غير جواز، عارف ليه؟ علشان ماشفتش من أهلي غير الضرب والقسوة وبس، أنا كبيرة كده ياعبده وبتضرب، وأول حد يحضني بحب ويحسني بحنان كان حسين، أول حد حسني إن الدنيا ماتسواش عنده حاجة من غيري كان حسين، وأول حد كان محسني إن أنا ملكة وليا قيمة حتى في أكثر لحظات الغلط كان حسين.

ثم خفضت صوتها وأحست بنبضات قلبها المكسور وهي تقول:

- وأول حد باعني برضو حسين.

ظل "عبدالحافظ" صامتاً لا يدري ما يقول، يشعر بالذنب؛ لأنه سمح لهذه العلاقة أن تستمر، وظل يرويها باهتمامه آملاً أن يأتي يومٌ ويخرج من داخله حب "سمر" ويتقبل صداقتها ولكن لم يستطيع فهو إلى الآن يعشقها.

- أنا عارفة أنك مدهول ومش مصدق اللي سمعته، لكن ده اللي حصل، والنتيجة إن أنا حامل، حاولت كتير أنزل الجنين قبل مايتكون لكن ماقدرتش، روحت لدكاترة وقلت لهم عايزة أنزل الجنين رفضوا وحالياً أنا هاتجنن ومش لاقية غيرك ألجأ له بعد ما حاسين سابني ومش موافق ابداً يتجوزني.

- أنا مش قادر أستوعب اللي بتقوليه، إزاي تقبلي على نفسك كده مهما حصل؟ وإزاي حاسين يعمل كده؟

- مش عارفة يا عبده أهو ده اللي حصل، اللي أنا عارفاه إن أنا في مصيبة ولازم حاسين يتجوزني ويأخذني من هنا في أقرب وقت أهلي لو عرفوا هايقتلوني.

أحس "عبدالحافظ" أن بداخله بركان من الغضب، عقله لا يستوعب الذي سمعه من "سمر"، "سمر" الفتاه المحترمة التي تمنى كثيراً الزواج منها تقول هذا الكلام كيف؟ وصديقه الذي يعتبره أخ له يفعل هذا بها رغم معرفته معزتها عنده، قال عبدالحافظ منفعلًا:

- إقفلني ياسمر.

قالت سمر بصوت منخفض خائف:

- هاتعمل إيه طيب؟

رد بأعلى صوت من شدة غضبه:

- بقول لك إقفلني ياسمر.

وضعت "سمر" السماعة ونهض "عبدالحافظ" للذهاب إلى صديقه "حسين" ولكنه سمع صوت طرقات الباب، ذهب ليرى من الطارق ليجده "حسين"، قال "حسين" مبتسماً قبل دخوله:

- أ أخبارك يا صاحبي؟

ابتعد "عبدالحافظ" عن الباب آذناً له بالدخول قانلاً:

- زي الزفت، أدخل.

دخل "حسين" المنزل وهو يقول:

- مالك؟ في إيه؟

- أقعد بس وبعدين نتكلم.

جلس "حسين" في الصالون ثم قال:

- أديني قعدت ها.

تنهد "عبدالحافظ" محاولاً الحفاظ على هدوءه وهو يقول:

- أنت عارف معزة سمر عندي صح؟

أحس "حسين" بالقلق خوفاً من أن يكون صديقه علم بما فعله بـ"سمر" وقال:

- في إيه ياعبده؟

رد "عبدالحافظ" بلهجة غاضبة:

- رد عليا، عارف ولا لا؟

- عارف.

- طب ليه عملت فيها كدة؟ عايز تتخلي عنها بعد ماخليتها تحمل منك؟

رد "حسين" بأسلوب جعل الغضب يزيد بداخل "عبدالحافظ" قائلاً:

- ياعم هو أنا قلت لها إحلمي.

حاول "عبدالحافظ" الحفاظ على هدوءه لكي يصل مع "حسين" إلى حل للمشكلة قائلاً:

- هي دي حجتك يعني؟، أديها حملت وحصل اللي حصل، الحل إيه؟

- والله أنا ماليش دعوة مشكلتها تحلها ه، وبعدين يالا نطلع نتكلم برة أحسن حد يسمعنا.

- مفيش في البيت غيري، فهمني بقى يعني إيه مشكلتها، هو اللي في بطنها ده مش إبنك؟

- وأنا إيه يأكدلي إنه إبنك؟

نهض "عبدالحافظ" وضرب كتف "حسين" عدة ضربات عنيفة وهو يقول بصوت غاضب

- أنت بتستهبل يا حسين صح؟

أمسك حسين يده وبعدها بعنف قائلاً:

- من الآخر حتى لو إبنك أنا قلت لها تتصرف وتنزله، مش هاتجوز واحده رخيصة زي دي لو

إطربقت السما على الأرض وبعدين أقعد علشان نعرف نتكلم، عيب تمد إيدك عليا.

جلس "عبدالحافظ" ثم قال:

- طب وهي تعمل إيه دلوقتي، دي في الشهر الرابع صعب تلاقي دكتور يوافق ينزله.

رد "حسين" بجفاء:

- قلت لك دي مشكلتها هي.

قال "عبدالحافظ" بصوت مكسور وكاد أن يبكي:

- بقالنا سنيين أصحاب أول مرة أعرف إنك واطي ومش راجل.

نهض "حسين" ثم قال:

- أنت بتشتمني علشان واحدة زبالة زي "سمر"؟

نهض "عبدالحافظ" أيضاً وقال وهو يقترب إلى "حسين" بغضب:

- والله مافي زبالة غيرك.

قرب "عبدالحافظ" يده من "حسين" ولكن أمسك الآخر يده ثم قال:

- عبدالحافظ ...

ثم أهبط يد "عبدالحافظ" وقال:

- قلت لك إيدك دي ماتتمدش عليا، عيب نمد إيدنا على بعض علشان واحده أياً كانت بالنسبة لك مين، صداقتنا أقوى أكيد.

رد "عبدالحافظ" بضيق:

- أنت بتنتهي حياتها على فكرة، أهل "سمر" صعيبين جداً وأكيد هيقتلوا لو عرفوا اللي حصل.

- يقتلوا أحسن ماتدبس وأتجوزها.

لم يستطع "عبدالحافظ" أن يمسك لسانه من خروج الكلمات التي كانت بداخله:

- أنت واطي وزبالة حقيقي، أنت مش بني آدم أصلاً ولا حصلت حتى حيوان.

رد عليه "حسين" قائلاً:

- بقى كده يا صاحبي؟

- خير، متضايق ليه أنا ماقولتش غير الحقيقة؟!!

كان "حسين" يظن أن صداقته بـ"عبدالحافظ" أقوى من كل شئ ولم تهدمها سمر حتى لو قُتلت، كان يظن أن "حسين" سيحزن ويزعل منه ولكنه الآن يشعر بأن صداقته بـ"عبدالحافظ" تنتهي بسبب "سمر" فقال له:

- عمال تشتمني وكنت هاتمد إيدك عليا علشانها أنا مش قادر أصدق بجد.

- إحمد ربنا إني مامتتش إيدي عليك بجد لدلوقتي.

- بقى كده، شكراً يامحترم، شكراً يا صاحبي.

- صاحبك مين، خليك عارف إننا من النهاردة مابقيناش أصحاب خلاص، لإني مايشرفنيش أفضل مصاحب واحد زيك.

ترك "حسين" "عبدالحافظ" في حيرة وذهب، لا يعلم ماذا يفعل وكيف يساعد "سمر"، هو يعلم جيداً أن "سمر" معرضة للقتل من قبل والديها إذا علما بحقيقة حملها، فكيف ينقذها، دق جرس

الهاتف فجلس وأخذ نفس عميق ليحاول التحدث بهدوء... و رد "عبدالحافظ" على الهاتف وجدها "سمر" تقول:

- أرجوك ماتتخلاش عني.

- على فكرة "حسين" كان عندي واتكلمت معاه في موضوعك.

تسارعت نبضات قلبها وقالت:

- طب إيه الأخبار؟

- رفض تماماً يتجوزك.

أحست "سمر" بوجع في قلبها في الحال، كانت آملة أن يستطع "عبدالحافظ" إقناع "حسين" ولكن هدمت الآن آمالها.

- يبقى لازم أهرب من هنا في أقرب وقت قبل مايعرفوا.

قالتها "سمر" فرد "عبدالحافظ" قانلاً دون تردد:

- وأنا معاك في كده، تهربي أحسن مايقنلوكي.

- ساعدني يا عبده أرجوك ... أنا مش عارفة أروح فين؟

قال "عبدالحافظ" بعد أن فكر قليلاً:

- أصبري يومين بس هاجر لك مكان تقعد في فيه بعيد عنهم وماتشليش هم أي حاجة، أنا هادفع الإيجار واتكفل بمصاريفك.

أحست "سمر" أن حملها يزيد على "عبدالحافظ" ولكن هي الآن لا يوجد لديها أي خيار إلا وقوف "عبدالحافظ" بجانبها فقالت بصوت حزين:

- ربنا مايجرمنيش منك أبداً.

صمت "عبدالحافظ" دقائق يفكر قبل أن يقول:

- في عندنا عفش في البيت مركون عفش كويس على فكرة بس شيلناه علشان بنجدد مش أكثر، يعني سريرين وكام كرسي وهاجيبك بوتاجاز وأنبوبة وتمشي حالك.

ابتسمت "سمر" رغم حزنها وأحست بطمئينة تدخل قلبها لوجود "عبدالحافظ" معها وقالت

- حقيقي أنا مش عارفة أقول لك إيه وأشكرك إزاي.

- مفيش داعي للشكر خالص.

- ربنا يخليك.

وفي اليوم التالي وجد "عبدالحافظ" شقة مناسبة وفي خلال أسبوع جهزها لتستطع "سمر" العيش بها.

(بعد مرور أسبوع)

حملت "سمر" حقيبة ملابسها أثناء نوم أهلها وذهبت إلى الشقة التي جهزها لها "عبد الحافظ" وجدت الشقة منظمة ولا تحتاج أن تفعل فيها شيئاً، نظم "عبد الحافظ" كل شئ قبل مجيئها، ففردت ظهرها على السرير وبدأت في البكاء، فهي الآن حائرة، تائهة لا تعلم كيف يمكنها عيش المستقبل، ستصبح مسؤولة من طفل قادم مستقبله ومستقبلها بدون ملامح، بعد دقائق أتى إليها "عبد الحافظ" للإطمئنان عليها ولكن لاحظ عندما فتحت له الباب عيونها المنفخة من كثرة البكاء فقال بلهجة حزينة:

- زعلانة طبعاً؟

ابتعدت "سمر" عن الباب قائلة:

- تعالى يا"عبد" نتكلم جوة.

دخل وجلس على مقعد في الصالة وجلست هي على مقعد أمامه وقال "عبد الحافظ":

- أنتِ عندك حق تحزني على الوضع اللي بقيتي فيه لكن لازم تبقي قوية، لو مش علشانك يبقى علشان الطفل اللي جاي.

ابتسمت بسخرية قائلة:

- الطفل اللي هاييجي الدنيا يلاقي نفسه ابن حرام؟

تنهد "عبد الحافظ" بضيق ثم قال:

- أنا في حاجة عايز أعملها علشانه.

- إيه هي؟

تردد "عبدالحافظ" قليلاً ولكن قال:

- نتجوز على الورق بس علشان تقدري تسجليه وكمان تولدي.

- بس أنا كده هابقي بضغط عليك جامد.

- لا ولا بتضغطي عليا ولا حاجة، ورقة وخلص مش هاتخسرني حاجة لكن هاتفيدك انتي والجنين.

بعد تفكير لحظات قالت "سمر":

- لو مش هابقي باجي عليك يبقى ياريت طبعاً.

- تمام بكرة ان شاء الله نشوف إجراءات الجواز.

- إن شاء الله.

بعد مرور خمسة أشهر...

أحست والدة "عبد الحافظ" بالقلق الواضح على وجه ابنها فجلست بجانبه على الأريكة وقالت له:

- مالك؟ في إيه؟

تنهد "عبد الحافظ" بحزن وهو يقول:

- "سمر" قربت تولد، خايف عليها قوي المفروض ماتبقاش لوحدها.

قالت والدته بلهجة غاضبة:

- أنت قلت لي جوازكم على الورق علشان ابنها وهاتطلقوا، لكن شكك عايز تروح تعيش معاها كمان!

- ياماما أنا بصارك بكل حاجة، ياريت ماتدمنيش.

قالت والدته بصوت حزين:

- ماهو اللي أنت فيه ده حرام يا حبيبي، أنا وافقت تنفذ اللي في دماغك وتتجوزها لكن عمري ماهقبل الموضوع يتطور عن كدة.

حاول "عبد الحافظ" إقناع والدته بما يفعله قائلاً:

- ما انت عارفة "سمر" ياماما وبتحبيها، "سمر" غطت علشان غلبانة وإضحك عليها،

ولكن ردت والدته بحزم قائلة:

- لا أوعى تحط لها مبرر، اللي تغلط غلط زي ده يعني بنت سافلة ومش متريية، مش أي غلط ينفع نسامح فيه وإذا أنت قلبك كبير قوي كده فأنا لأ، ومش هاخليك تعيش غير مع بنت تعرف تحافظ على شرفها وشرف أهلها وشرفك.

- بس سمر محتاجة لي.

- سمر أنت ساعدتها كتير قوي وكفاية لحد كدة.

نهض "عبد الحافظ" قائلاً:

- أنا قلقان، هروح اتظمن عليها.

- برضو، مفيش فايده فيك؟

- سلام ياماما.

"سمر" في بداية شهرها التاسع، أحست بتعب شديد منذ ساعات، وخرجت إلى محل البقاله بجانبها للإتصال بـ"عبد الحافظ" ولكن قال لها البائع أنه خارج منزله، ظلت تعود إلى منزلها وتخرج

للاتصال به مرات عديدة بلا فائدة ولم تدر أن والدة "عبد الحافظ" هي التي قالت للبانع إذا أتت سمر للاتصال قل لها أن "عبد الحافظ" غير موجود في المنزل، كانت في قمة تعبها ولا تدري ماذا تفعل حتى أتى إليها "عبد الحافظ" صدفة وأخذها إلى المشفى، قالت الطبيبة بعد الكشف عليها:

- على فكرة دي لازم تولد حالياً، لو ما ولدتش هايكون في خطر عليها وعلى الجنين.

رد "عبد الحافظ" بدون تفكير:

- خلاص يبقى تولد دلوقتي.

- حضرتك والد الطفل؟

- أيوة أنا.

- تمام جهز أوراق الولادة وإحنا هانجهز غرفة العمليات لأنها هاتولد (قيصري).

أحس "عبد الحافظ" بالقلق وقال:

- هي حالتها إيه بالضبط؟

- حالتها محتاجة سرعة بس، لازم نبدأ نجهز لولادتها حالياً لأن الماية حوالين الجنين نزلت كلها وده خطر جداً.

- استر يارب.

- ماتقلقش خير إن شاء الله، خلص بس الورق.

- ايه طيب الأوراق المطلوبة؟

- قسيمة الجواز وبطافتك وبطاقة مراتك.

- تمام.

بعد مرور ثلاث ساعات أتى "وليد" إلى الدنيا، حمله "عبد الحافظ" وبداخله شعور غريب، تعلق به وكيانه ابنه حقاً، قال الأذان في أذنه ثم أخذه الممرضون إلى الحاضنة للإطمئنان عليه، بعدها بنصف ساعة خرج الممرضون بـ"سمر"، شعر "عبد الحافظ" بأنه يمتلك الدنيا، جمال الموقف جعله ينسى أن زواجه بـ"سمر" على الورق فقط، يشعر الآن إن حلمه تحقق وزوجته بجانبه وأصبح لديه ابن، ولكن شعور "سمر" مختلف، حزينه جداً لا تدري ماذا تفعل في الحال الذي أوصلت نفسها له، كيف تحمل "عبد الحافظ" أكثر من الذي تحمله، الوضع الآن أصعب لأنها مسؤولة عن طفل ولا تستطع الاعتناء به، وبمصاريقه وهي بهذه الحالة، فكرت كثيراً في هذه اللحظة وكانت دائماً تقول أن "عبد الحافظ" بجانبها وسيستمر في مساعدتها، ولكن الآن وهي تعيش الواقع الوضع مختلف، تشعر بأنها حمل ثقيل تزيده بفرد آخر.

وبعد مرور ثلاثة أيام أتت إليها والدة "عبد الحافظ"، طرقت الباب وفتحت "سمر"، أحست "سمر" بسعادة عندما رأتها أمام الباب لأنها ظنت أنها آتية للإطمئنان عليها، ابتسمت "سمر" قائلة:

- ازيك ياطنط، وحشتيني قوي، تعالي إتفضلي.

دخلت والدة "عبد الحافظ" وجلست على مقعد في الصلاة وجلست أمامها "سمر" وهي تقول:

- نورتيني ياطنط والله.

ولكن لاحظت "سمر" عبوس وجه والدة "عبد الحافظ"، فقالت "سمر"؟

- مالك؟

قالت والدة "عبد الحافظ" بدون مقدمات:

- هو لحد إمتي ابني هايشيل همك؟

نظرت "سمر" إلى الأسفل بدون رد فقالت والدة "عبد الحافظ":

- ابني من حقه يعيش حياته ويتجوز ويخلف ولا هايفضل عمره كله بيساعدك؟

لم تدر "سمر" ماذا تقول من شدة الخجل الذي شعرت به، فظلت صامتة:

- بصي ياسمر لازم تعرفي إن أنت اللي غلطتي، وأنت اللي عيشتي في الحرام ماينفعلش ابني يتحمل غلطتك معاكي، زي ماغلطتي اتحملي نتيجة غلطتك وكفاية اللي ابني عمله معاكي لحد كدة.

- أنا عارفة إن أنا بقيت حمل ثقيل قوي عليه لكن مش لاقية غيره يقف جنبي.

- لا ياحببتي روي لي ضحك عليكي ورماعي خليه يشيل شيلته، لكن ابني كفاية عليه قوي لحد كدة.

سقطت دموع "سمر" وأكملت والدة "عبد الحافظ" بلهجة قاسية:

- حاولي ماتكونيش أنانية وزي ما ابني بيفكر فيكي فكري فيه هاتلاقي عندي حق، وإعرفي حاجة ياسمر- عبده لو وقف جنبك ثاني وأنت قبلتي أهلك هايعرفوا مكانك وهايعرفوا كل اللي عملتيه.

قالتها ثم نهضت وذهبت لباب الخروج، فتحت الباب لتجد "عبد الحافظ" قادمًا من بعيد أمامها فوقفت تنتظره حتى أتاها قائلاً:

- أنتِ عرفتِ بيت سمر منين ياماما؟

- كنت وراك لما جيت لها إمبراح.

شعر "عبد الحافظ" بالقلق فقال:

- راقبتيني يعني، ليه طيب؟

- أنا ماشية.

- ردي عليا طيب يا ماما.

تركته وذهبت دون رد.

دخل "عبد الحافظ" إلى المنزل وجد "سمر" تبكي بانها على مقعدها، أخذ مقعداً وجلس بجانبها مريئاً على كتفها قائلاً:

- في إيه ياسمر، ماما ضايقتك صح؟

رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة:

- هي عندها حق في كل كلمة قالتها.

- هي قالت إيه طيب؟

نهضت سمر وفتحت باب الخروج ثم قالت.

- إطلع برة ياعبده، مش عايزاك تيجي لي ثاني.

نظر إليها بدهشة قائلاً:

- نعم؟

- زي ماسمعت، ولو جيت هنا ثاني مش هافتح لك الباب، وأنا كده كده محدش بيجيلي غيرك يعني مش هافتح الباب لحد.

- أنا عايز أعرف أمي قالتك إيه؟

- إعرف منها هي، إتفضل إطلع.

خرج "عبد الحافظ" ونار تشتعل في قلبه ... فهو لا يريد الإفتراق عن سمر لإن بوجود وليد أصبحت سمر بالنسبة إليه حياه جميلة يريد أن يكمل الباقي من عمره بداخلها ولكن الآن لايدري ما فعلته والدته لتهدم هذه الحياه التي تمناها.

قررت "سمر" أن تضع "وليد" في دار الأيتام، ظلت تسأل على دار للأيتام حتى وصلت إليها، دخلت إلى مديرة الدار وهي تحمل "وليد" بين ذراعيها، دخلت المكتب وجلست ثم قالت:

- أنا عايزة أخلي ابني عنديكم لفترة وهارجع أخده ثاني.

نظرت إليها مديرة الدار بنظرة تحمل مليون سؤالاً، ثم قالت:

- ليه عايزة تعملي كده؟

- معنديش القدرة على تربيته.

قالت المديرة منفعلة:

- خلفتيه ليه مادام معنديش قدرة تربيته؟

- أهو اللي حصل حصل.

قالت مديرة الدار وهي تنظر إليها باحتقار:

- لو حابة تسيبيه هنا يبقى هاتتنازلي عن ابنك للدار، ولو جت عائلة تتبناه هانسلمه ليهم، احنا مانقدرش نفضل مستنيينك تيجي تاخديه.

صمتت "سمر" قليلاً تفكر ثم قالت:

- أقفي معايا أرجوكي، أنا هارجع والله وآخده بس خليه هنا لسنة بس هاحاول على قد ما أقدر أقف على رجلي في الفترة دي.

فكرت مديرة الدار قليلاً بعد شعورها بالتعاطف مع "سمر" ثم قالت:

- هاقف معاكي وهحافظ لك عليه حاضر.

- بإذن الله ماطولش وأرجع له بسرعة، أنا معايا شهادة الميلاد بتاعته، ليا رجاء أخير، ماتغيروش اسمه علشان لما أرجع أعرف اوصل له.

- بس طول السنة دي مش هاتيحي تشوفيه.

- أنا هاحاول على قد ما أقدر أمنع نفسي من الخطوة دي، عايزة أبعد عنه الفترة دي علشان لما أرجع آخده هايبقى صعب عليا أشوفه وأسبيه وأمشي وأنا عايزة الحزن مايكسرنيش علشان أعرف أركز في شغلي وأقف على رجلي.

أومأت مديرة الدار رأسها بالموافقة وهي تقول:

- تمام ماشي، طيب فين شهادته؟

أخرجت سمر الشهادة من حقيبتها قائلة:

- دي.

- تمام.

- أوعديني، هاتاخدي بالك منه؟

- أوعدك والله هاحطه في عنيا لغاية ما تيجي.

تركت "سمر" ابنها وذهبت آملة أن تنصلح أحوالها وتعود، عندما عادت إلى بيتها وجدت "عبد الحافظ" في انتظارها أمام الباب.

- كنت فين؟

قالها "عبد الحافظ"، ردت "سمر" وهي تفتح باب المنزل بدون أن تعيره اهتمام:

- في مشوار، أنت ايه اللي جابك؟

- أنا عرفت ماما قالت لك إيه، أنا مش هاتخلي عنك أبداً ياسمر.

- بس هي عندها حق وأنا قررت إني مش هاكون أنانية ثاني.

- يعني إيه؟

فتحت سمر باب المنزل ثم قالت:

- يعني أنت من طريق وأنا من طريق.

لاحظ "عبد الحافظ" أنها لا تحمل "وليد" في يديها، وهو يعلم جيداً أنها لا تعرف من تتركه معه فقال بقلق:

- وليد فين؟

ردت "سمر" وهي تغلق باب المنزل:

- مش موجود.

أمسك "عبد الحافظ" الباب قبل أن تغلقه وقال بانفعال:

- يعني إيه مش موجود؟

- يعني مش موجود يا عبده كفاية لحد كدة، مش عايزة اضغط عليك أكثر من كدة، وياريت كمان نتطلق، احنا اتجوزنا علشان اسجل ابني وسجلته خلاص مفيش داعي للورقة اللي بيننا.

فقد "عبد الحافظ" أعصابه وقال بصوت مرتفع وهو في قمة الغضب:

- فين وليد ياسمر؟

أجابت سمر بنفس مستوى صوته:

- وديته ملجأ.

أحس "عبد الحافظ" بأنه انكسر عند سماعه كلامها، تألأت عينيه بالدموع، ثم قال بصوت حزين:

- انت مجنونة، يعني ايه وديته ملجأ، فين الملجأ ده؟

قالت "سمر" محاولة تمثيل القوة، وبدخلها تتمنى معانقة "عبد الحافظ" والبكاء بين ذراعيه:

- ملكش دعوة.

اقترب منها "عبد الحافظ" ومسك ذراعها بقوة قائلاً:

- ازاي يعني؟ وليد ابني.

سحبت "سمر" ذراعها من بين يديه قائلة:

- انت خلاص صدقت اللعبة اللي لعبناها سوى؟ ابنك منين وازاي، وليد مش ابنك، وليد ابني أنا، وأنا خلاص اتخليت عنه.

- أنتِ حقيقي اتجننتي خلاص، فين مكان الملجأ ده علشان أجيب "وليد"؟

أغلقت الباب "سمر" مرة أخرى وقالت:

- بقول لك ايه تعالى معايا للمأذون علشان مش عايزاك في حياتي.

- وابننا؟

تأففت "سمر" بضيق ثم قالت:

- ماتقولش ابننا "وليد" ابني لوحدي وأنا قلت لحد في الملجأ ان أنا هارجع أخده، "وليد" هارجع لما أشتغل وأقف على رجلي.

- كدة يا "اسمر" دي أخرتها؟

صمتت "سمر" قليلاً وحاولت منع دموعها من الهبوط وعندما استطاعت قالت:

- أيوة وماعنديش أي كلام أقوله غير عايزة ورقة طلاقي وخروجك من حياتي.

- ماشي ياسمر، اللي تشوفيه.

في هذه اللحظة قرر "عبد الحافظ" التخلي عن "سمر"، أخذها إلى المأذون ونفذ لها رغبتها الكاذبة وطلقها، ثم عادت "سمر" إلى منزلها وحيدة، خرجت تبحث من مكان إلى آخر على عمل حتى وجدت مطعم قبل بعملها به وبدأت في بناء حياتها من جديد.

بعد مرور عام أصبحت لديها القدرة لاستعادة ابنها ولكن عندما راحت لترجعه إليها كانت المفاجأة، الميتم محروق ولا يوجد به إلا الكلاب والقطط، أصبح مكان مهجور، ولكن أين وليد؟ لا تدري

أحست أن قطعة من قلبها خطفت، كانت تجاهد لتجني معاها نقود لتستعيد ابنها والآن أصبحت ضائعة وتائهة لا تعلم ماذا تفعل، أرسلت رسالة إلى "عبد الحافظ" وكتبت بها:

(أنا محتاجة لك يا عبده، أنا ماليش في الدنيا غيرك ألجأ له، وليد راح مني يا عبده، راح خلاص، ابني اللي كنت بحلم بوجوده جنبي ليل نهار مش لأقياه، رجعت أجيبه من الملجأ لأقيت الملجأ محروق ومهجور، مش قادرة اتخيل، يعني معقول وليد مات، أنا عايزة ابني يا عبده" مش بتقول انه ابنك أنت كمان رجعه لينا يا عبده)

عندما وصلت الرسالة إلى "عبد الحافظ" كان "حسين" بجانبه يقول:

- أنا ندمت والله على اللي عملته، طول الوقت اللي فات بحاول أنسى "سمر" ومش عارف ولا قادر أنسى انها ممكن تكون ولدت ابني نفسي أعرف هي فين وهاتج..

وقطع حديثه "عبد الحافظ" قائلاً..

- ما انت اتجوزت خلاص، عايز منها إيه؟

- اتجوزت علشان انساها وماعرفتش، أنا عارف انك قريب منها جداً عايز أعرف هي فين؟ ولدت ابني ولا لأ.

فتح "عبد الحافظ" الرسالة وبدأ في قراءتها وبعد انتهاءه قال:

- تعالي نروح لسمر يا حسين، سمر محتاجانا جنبها.

- في إيه؟ مالها؟

قدم له الرسالة بيده قائلاً:

- إقرأ.

قرأ "حسين" الرسالة وتلألأت عينيه بالدموع وهو يقول:

- تعالي نروح لها:

خرجا الإثنان وذهبا إلى "سمر"، طرق "عبد الحافظ" الباب وفتحت "سمر" ولكن وجود "حسين" جعلها في دهشة، سمرت في مكانها صامته حتى قال "حسين":

- مش هاتقولي لنا اتفضلوا؟

ابتعدت عن الباب وهي تقول:

- اتفضلوا.

دخل "عبد الحافظ" وخلفه حسين، جلسا على المقاعد في الصالة، قال حسين.

- أنا قرأت الرسالة اللي بعيتها لـ "عبد الحافظ"، من النهاردة أنت مش لوحدهك أنا جنبك

هبطت الدموع من عيني "سمر" وهي تقول بانفعال:

- أنت مجنون صح؟ أكيد مجنون، عملت فيا كل دة وجاي تقول جنبك؟ جنبى إزاي؟ أنا لو عايشة دلوقتي ف الفضل يرجع لعبده، لولاه كان زمان أهلي قتلوني بسببك، أنا ولدت ابنك ومالقيتش غير عبده جنبى، ولما عبده بعد عني إبنى راح منى، فين أنت في كل ده؟ دلوقتي جاي تقول أنا جنبك؟

- أنا آسف، سامحيني أرجوكي، وأوعدك عمري ماهاتخلى عنك ثاني.

تجاهلت "حسين" ونظرت إلى "عبد الحافظ" قائلة:

- هاتساعدني ألاقى ابني يا عبده.

ابتسم "عبد الحافظ" ثم قال:

- أنا هاساعدك علشان محبة "وليد" اللي اتزرعت في قلبي.

ثم تذكر معاملتها القاسية له ففقد حاجبيه وعبس وجهه وقال:

- على فكرة أنا لفيت في كل مياثم البلد ودورت عليه لكن ماقدرتش ألاقية للأسف، و بعد ما بيعتيني بكل سهولة مكنتش عايز ارجع لك ثاني أبداً، لكن أنتِ عارفة مستحيل الأايك محتاجة لي وماتلاقينيش جنبك.

- دلوقتي أكثر مرة محتاجة لك فيها حقيقي، حتة مني كنت بحلم بيها يومياً وراحت.

تنهد "عبد الحافظ" بحزن ثم قال:

- بإذن الله نلاقيه.

ظل "حسين" يستمع إليهم في صمت حتى قالت "سمر":

- المرة الجاية لما تيجي ماتجيبش المخلوق ده معاك ثاني.

قال "حسين" محاولاً الحفاظ على هدوئه:

- أنا عارف إن صعب تسامحيني بس عندي أمل.

قبل أن يكمل قاطعته "سمر" قائلة:

- أمل آه، طب ياريت تخرج وماتجيليش هنا ثاني.

نهض "حسين" دون رد فعل على طردها له لأنه كان متوقعاً منها كل شئ بعد ما فعله لها، ثم قال:

- أنا هاخرج بس هاسيبك يومين تهدي، واعرفي إني هارجع لك ثاني.

نهض "عبد الحافظ" أيضاً قائلاً:

- هامشي أنا كمان وهاجي لك وقت ثاني.

- ماشي يا عبده.

بعد مرور ثلاثة أشهر وبعد عدة محاولات من "حسين" للتقرب من "سمر"، عادت "سمر" إلى "حسين" مرة أخرى، ولكن هذه المرة وافقت تعود إليه بالزواج ووافق على قرارها وتزوجا.

رغم معرفة "سمر" زواج حسين من أخرى، تأملت أن يكون قد أحس بعشقها حقاً عندما غابت عنه، وزواجه كان لنسيانها، تأملت أن يعدل بينهما وأن تسعد بحياتها معه، وأن يبحث معها على "وليد" لكن لم يتحقق على أرض الواقع، وكانت كل آمالها أحلام فقط .

عادت "سمر" من عند الطبيب إلى المنزل، دخلت غرفتها وجدت "حسين" في انتظاها، نظر إليها قائلاً:

- كنتِ فين؟

اقتربت منه سمر وضمته قائلة:

- شكيت إن أنا حامل وروحت للدكتور أتأكد.

أبعدها حسين ونظر إليها باهتمام، ماسكاً ذراعيها:

- وقال لك إيه؟

قالت "سمر" مبتسمة:

- قال إني حامل.

شعر "حسين" بسعادة بالغة، ضمها إليه وهو يقول:

- ده أحلى خبر سمعته في حياتي، الحمد لله.

سمر تائهة، لا تدري بما تشعر، هل هي سعيدة أم حزينة، ولكن بعد دقائق علمت أنها سعيدة وحزينة في آن واحد؛ سعيدة لأنها ستصبح أم مرة أخرى وتعيش الإحساس الذي فقدته بضياح "وليد" منها ولكن حزينة لأن أب مولودها القادم هو "حسين" الذي غدر بها سابقاً وتخشى غدره مرة أخرى،

نظرت إليه "سمر" ثم قالت:

- هاتحافظ عليا وعلى طفلنا اللي جاي يا حسين ولا لأ؟

واتطمأنت عندما قال:

- أنا هاشيلكم في عنيا أنتوا الأثنين.

بعد مرور ثمانية أشهر جاء وقت ولادة "سمر" وبعد ولادتها آتتها الصدمة الثانية، تركها "حسين" في المشفى وأخذ ابنته وذهب، عاد إلى زوجته الأخرى وهو يحمل ابنته قانلاً:

- ايه رأيك في القمر دي؟

حملتها زوجته وهي تقول:

- ماشاء الله، جميلة قوي يا حسين، باين عليها لسة مولودة جيبنتها منين؟

- روحت النهاردة ميتم علشان أتبنى طفل ولاقيت القمر دي هناك بيقلوا حد سابها قدام الميتم، خلصت الإجراءات وخذتها.

- ادو هالك على طول كده؟

- تقولي إيه؟ إهمال بقى، المهم اننا بقى عندنا بنت أهى علشان تعرفي إن أنا مش فارق معايا نهائي مشكلة الخلفة اللي عندك.

أحست بالحزن للحظة عندما قال "حسين" جملته الأخيرة، ولكن زال حزن قلبها بنظرة أخرى منها إلى "عبير"!!!

- أنا تهت منك، أنت بتقول بابا ومراته سموا البنث عبير صح؟
- بالضبط، وأظن إن لغاية الآن مرات باباك ماتعرفش إن "عبير" بنته، الحقيقة مش متبنيها ولا تعرف اللي عمله في "سمر".
- طب فين أمي وأبوي دلوقتي؟
- أنا علاقتي انتهت بحسين نهائي بعد اللي عمله في سمر، اللي أعرفه اللي حكيت لك عليه لكن سمر بعد ماخرجت من المستشفى بيوم واحد اختفت، ودورت عليها في كل مكان مش لاقيتها.
- هبطت دموع "وليد" لا إرادياً وقال:
- أكيد أبوي عمل فيها حاجة.
- ده اللي شكيت فيه وحاولت أعرف عمل فيها إيه لكن ماعرفتش.
- مسح "وليد" بيده دموعه وهو يقول:
- ممكن أطلب منك طلب.
- أكيد.
- أوصف لي شكل أمي، نفسي أعرف شكلها إيه.
- قال "عبد الحافظ" مبتسماً وهو يتذكر كل ملامح "سمر":
- سمر كانت جميلة قوي، كانت بيضة وشعرها أسود وطويل وعيونها سودا ملامحها هادية وجميلة.
- فتح وليد "عينيه" على وسعيهما بدهشة قائلاً:
- معقول تكون هي؟!!!
- انعقد حاجبي "عبد الحافظ" لأنه لم يفهم "وليد" وقال:
- هي مين؟
- في واحدة بشوفها دائماً في أحلامي، نفس المواصفات دي بس صغيرة مش معقول تكون أمي!
- سمر مختفية من ٢٠ سنة ياوليد يعني لو حصل لها حاجة أكيد هاتشوفها بنفس السن اللي اختفت فيه.
- هبطت دموع "وليد" مرة أخرى وهو يقول:
- بإذن الله لأ، نفسي أشوفها في الحقيقة ولو لمرة واحدة في حياتي.
- نهض "عبد الحافظ" وقرب مقعده من "وليد" وجلس بجانبه ثم وضع يده على كتف "وليد" لمواساته قائلاً:

- امسح دموعك حتى لو لا قدر الله سمر فعلاً حصل لها حاجة أعرف إن أنا دائماً هابقي جنبك وفي ظهرك، أنت من النهاردة مش لوحدك ياوليد.

ابتسم "وليد" ومسح دموعه بيده ثم قال:

- ربنا يخليك.

- عارف ياوليد، أنا كمان بتمنى تكون سمر عيشة وأشوفها، تعرف انها بتبعت لي إشارات كتير علشان تحسنني إنها معايا.

- إزاي مش فاهم.

- يعني مرة لقيت سلسلتها جنبي، ومرة ثانية رسالة كانت بعتهالي، وآخر مرة سمعت صوتها وقالتلي على مكان المحل دة!

رد عليه "وليد" رد لم يتوقعه "عبد الحافظ" مطلقاً قائلاً:

- تعرف بقى إنها بتظهر "عبير":

قال "عبد الحافظ" بدهشة:

- إزاي يعني؟ أنت شفت عبير؟

- جت لي هنا وعرفت إن نفس البنت اللي بتجيلي في أحلامي هي بتشوفها في بيت مهجور جنبهم وهي بعتهالي.

وساد الصمت قليلاً قبل أن يقول "عبد الحافظ":

- الموضوع دة غريب قوي.

- كنا لسة بنتكلم أنا وعبير في كدة، لو حكيناها لحد هايقول حكاية خيالية.

أوما رأسه تأكيداً على كلام "وليد" ثم قال:

- فعلاً صح.

ثم نظر إلى الأسفل وفكر قليلاً بعدها رفع عينيه إلى "وليد" قائلاً:

- طب احنا لازم نعرف هي عايزة توصلنا لإيه ... معاك رقم "عبير"؟

- أيوة.

- تمام اتصل بيها خليها تيجي دلوقتي.

- ماشي.

حمل الهاتف من على زجاج (الفاترينه) ثم اتصل على "عبير"، ردت "عبير" قائلة:

- إزيك ياوليد ... أنت اتصلت في وقتك.

لاحظ وليد الخوف على صوتها فقال:

- في إيه؟ مالك؟

- البنت دي بتنادي عليا.

قال بدون تفكير.

- روحيلها ياعبير.

صمتت عبير للحظات ثم قالت:

- بس أنا خيفة قوي.

قال "وليد" ليشجعها ويجعلها تخرج من منزلها وتذهب إلى المنزل المجاور:

- روعي ياعبير ماتخافيش، عمرها ماها تنذكي.

ردت عليه عبير بدهشة.

- أنت عرفتها ولا إيه؟

- أيوة عرفتها روعي.

- بس ماما في أوضتها لو عرفت إني خرجت هاتزعقلي.

- ياعبير لازم تروحي وهاترجعي على المحل اللي أنا بشتغل فيه، الموضوع مهم فوق ما تتخلي

أحست "عبير" أن "وليد" على علم بأشياء لا تعرفها، وأن ذهابها إلى هذه الفتاه مهم جداً فنهضت وقالت وهي تغير (ترنج) المنزل بستان خروج:

- أنا هاخرج من غير ما أقول لها وخلص مادام الموضوع مهم كده ولما أرجع هاصالحها.

- تمام.

مشت "عبير" بخطواتٍ بطيئة وخرجت دون علم والدتها، ذهبت للمنزل المهجور ومعها وليد على الهاتف، وجدت "سمر" جالسة في مكانها ولم تغيره وقالت عبير بلهجة خائفة:

- كنتِ عاوزاني ليه؟

- السر هنا.

قالتها وشاورت بسبابتها للأسفل فقالت عبير.

- مش فاهمة!

- هاتفهم كل حاجة في وقتها ... عايزاكي تعرفي إن دي آخر مرة هاتشوفيني فيها إن بعد ما ينكشف السر وتتجمعوا روعي هاترتاح وهاتبعد عنكم.

قالت "عبير" بارتباك:

- أنا مش فاهمة منك حاجة.

- إمشي ياعبير.

- أمشي ليه، فهميني طيب؟

قال وليد في الهاتف:

- تعالي ياعبير على هنا وأنا هافهمك كل حاجة.

خرجت "عبير" مسرعة من المنزل وقالت في الخارج:

- فهمني يا وليد إيه الموضوع بالضبط.

- تعالي بس وهاتفهمي.

بعد نصف ساعة وصلت "عبير" إلى المحل، دخلت قائلة:

- في إيه يا وليد؟

وجدت "عبد الحافظ" جالساً فقالت:

- أنا آسفة مكنتش عارفة إن معاك حد.

قال "وليد" وهو يقدم إليها مقعداً:

- ماتقلقيش دة مش أي حد، ده اللي هايكشف لك سر اللي بتنادي عليكي كل يوم وتظهر لك.

جلست "عبير" على المقعد الذي وضعه وليد بجانبه قائلة:

- ياريت أنا نفسي أفهم:

وسرد لها "عبد الحافظ" كل ما حدث، "عبير" في ذهول لا تعلم ما تقول، فهو يقول لها أن والدها ظالم وأن والدتها التي عاشت عمرها بأكملها بجانبها ليست أمها الحقيقية، بل أمها الحقيقية مختفية من سنوات طويلة وهو يشك في أن والدها قتلها؛ أي عقل يستوعب هذا الكم من الصدمات في مرة واحدة.

- اللي بتقوله ده مستحيل يكون حقيقي، أنت بتقول إيه مستحيل طبعاً.

قالتها "عبير" بعد لحظات صمت، ورد "عبد الحافظ":

- اللي بقوله صعب جداً عليكي أنا عارف، بس دي الحقيقة وكمان اللي بتشوفها في بيتكم الثاني المهجور دي أمك الحقيقية.

- يعني إيه أمي! دي شابة صغيرة وبعدين البيت اللي جنبنا دة مش بيتنا.

- يعني إيه مش بيتكم هو حسين باعه يعني؟

- لا هو مش بيتنا أصلاً.

ابتسم "عبد الحافظ" بسخرية ثم قال.

- لأدّة بيتكم إزاي متعرفيش، والد حسين كان مشتري البيتين اللي جنب بعض لحسين
قالت عبير بدهشة:

- لو كلامك صح ليه كل العمر ده بيقول هو وماما انه مش بيتنا ومايعرفوش مين صحابه؟
ساد الصمت والتفكير للحظات بينهم، ثم قال "عبد الحافظ":

- مش عارف بس الموضوع غريب جداً، ليه مش عايز حد يعرف إنه بيته؟

- مش عارفة بجد يمكن مش حابب إننا ندخله!

قطع حديثهم "وليد" لأنه كان يستمع إليهم جيداً ويفكر وقال:

- ثواني ثواني، احنا شاكين أن أبويا قتل أمي وأمي مختفية محدش لقي جثتها لو فعلاً ماتت وعبير
بتقول طول عمرها بيقولوا لها البيت ده مش بتاعنا وماتعرفش أصحابه، وأمي أصلاً إختفت وعبير
لسة مولودة يعني مش بعيد تاريخ نكرانه للبيت هو نفسه تاريخ اختفاء أمي!!

قالت "عبير" بانفعال لأن عقلها رافض تفسير "وليد":

- ايه اللي أنت بتقوله ده؟ أنت عايز توصل لأيه بكل الكلام اللي مالوش لازمة دة؟

ولكن رد "عبد الحافظ" على وليد بكلام يؤيده.

- أنا فهمتك وأنت فعلاً عندك حق، سر اختفاء سمر هابتكشف في البيت دة.

نظر "وليد" إلى "عبير" قائلاً:

- أنت كنتي بتقول شوفتيها قاعدة على الارض في أوضة صح؟ المرة الثانية كانت في نفس المكان؟

ردت عبير وهي في حالة ذهول:

- أيوة.

نظر "وليد" إلى "عبد الحافظ" قائلاً:

- جثة أمي احتمال تكون مدفونة في المكان دة.

رد عليه "عبد الحافظ" متعجب:

- كده عقلك سرح قوي!!

ثم فكر قليلاً وقال:

- بس تصدق ممكن فعلاً ده أقرب تفسير لظهورها قاعدة في المكان دة.

تذكرت "عبير" شيئاً ثم قالت:

- اللي بشوفها في البيت المهجور شاورت لي تحتها على الأرض قبل ما آجي لكم وقالت لي السر هنا أنت أكيد سمعتها يا "وليد" لأنك كنت معايا ع التليفون.

قال "وليد" بلهجة سريعة:

- أنا مكنتش سامع غيرك، بس شوفتوا إن كلامي صح، كدة كل حاجة وضحت فعلاً عبير بتشوف روح أمها اللي اتقتلت واتدفنت في بيت حسين علشان كدة بقي بينكر إنه بيته، علشان محدش يدخله وسر قتله لأمي يتكشف؟

نهضت "عبير" وهي تبكي بإنهيار.

- مستحيل، بابا ده أطيب إنسان في الدنيا مستحيل يعمل كده، ومستحيل تكون سمر دي أمي، أنا أمي هي اللي ربنتي وعشت معاها عمري كله، مستحيل يكون عمري اللي فات كله مبني على كذبة.

سارت عبير مسرعة وهي تبكي، ذهب وراءها "وليد" و"عبد الحافظ" ثم قال "وليد":

- مش هاينفع أبعد أكثر من كده؛ المحل ده أمانة ولازم أحافظ عليها أنا مضطر أرجع.

- الأفضل إحنا الإثنين نرجع وساعة كدة وها نروح لها تكون فكرت شوية وهديت.

- أنت عارف مكان البيت؟

- طبعاً يا وليد.

- يعني حسين ممكن يكون هناك؟

- مش عايز تقول بابا؟

تلاأت الدموع في عين "وليد" ولكن استطاع منعها من السقوط وقال:

- كان نفسي قوي أقولها ولما جت لي الفرصة حسيت انه مايسناهلهاش.

ثم تذكر "عبد الحافظ" شيئاً فقال له.

- قولي صحيح يا وليد؛ أنت لما ضيعت مننا كان الملجأ اتحرق، ازاي بتقول إنك اتربيت في الملجأ؟

أوماً "وليد" رأسه وهو يقول:

- حكولي فعلاً إن الملجأ اللي كنت فيه قامت فيه حريقة وفي أطفال كتير ماتوا لكن أنا كنت من اللي ربنا سترها معاهم وعاشوا وانتقلت لملجأ ثاني.

رد عليه "عبد الحافظ" هازاً رأسه أيضاً قائلاً.

- أيوه وماعرفناش نوصل لك للأسف، يلا اللي راح راح خرينا في اللي احنا فيه، هي عبير قالت لك البيت اللي بتشوف فيه سمر بيكون مفتوح صح؟

- لا يبتفتح في الوقت اللي بتكون بتنادي عليها بس وبيرجع يتقفل في الأوقات العادية.
- آه.

أحس "وليد" أن "عبد الحافظ" يفكر في شيئاً فسأله قائلاً:

- بتفكر في إيه؟

رد عليه "عبد الحافظ" دون مقدمات:

- كنت عايز ندخل نحفر فيه.

قال "عبد الحافظ" ما يدور في ذهن "وليد" أيضاً فرد الآخر قائلاً:

- نكسر كالون الباب.

- لا أنا عندي أمل يكون المفتاح مع والدة عبير ولما نعرفها اللي حصل ممكن ناخذ منها المفتاح من غير ما حسين يعرف ويعمل مشاكل.

- ياريت، بس أنا حاسس بقى اننا لو عملنا كده مش هاتقدر تستوعب الكلام بسهولة زي ما حصل مع عبير.

اقتنع "عبد الحافظ" بكلام "وليد" ولكن قال:

- نجرب.

- تمام.

وبعد ساعة ذهبوا معاً الى المنزل المهجور، ولكن كان الباب مغلقاً فذهبوا إلى منزل "عبير"، طرق "عبد الحافظ" الباب عدة طرقات حتى فتحت "سعاد" نظر الإثنان إليها دون كلام حتى قالت:

- خير؟

قال عبد الحافظ:

- عبير موجودة؟

- أيوة، بتسال عليها ليه؟

- الموضوع يطول شرحه، ياريت تناديها.

قالت "سعاد" بصوت مرتفع:

- عبيبيير، تعالي.

وكررتها عدة مرات حتى أتت "عبير" وعينيها منتفختان من البكاء، قالت والدتها:

- أنت من ساعة ماجيتي بتعيطي ومش عايزة تقولي مالك، ودلوقتي في اثنيين بيسألوا عليكي أنا عايزة أفهم في إيه؟

رد "وليد" قائلاً:

- هانفهمك كل حاجة بس قولي لنا اتفضلوا الأول.

رد "عبد الحافظ" قائلاً:

- لا قبل اتفضلوا حسين هنا ولا لا؟

- حسين بقاله فترة مختفي، أنتوا تعرفوا منين كمان؟

قال "وليد" بدهشة:

- هو كمان اختفى؟

قالت "سعاد" متعجبة:

- هو كمان يعني إيه؟

رد عليها "وليد" قائلاً:

- ندخل طب ونفهمك.

ابتعدت "سعاد" عن الباب وقالت:

- اتفضلوا.

دخلا معاً إلى الصالون وقال وليد.

- إحنا عاوزين مفتاح البيت اللي جنبكم.

دهشت "سعاد" من طلبهم، وبدأت تدور في ذهنها عدة أسئلة، من هم؟ وكيف عرفا أن المنزل لهم؟ وماذا يريدان منها؟ ومن ابنتها؟ ظلت صامته تفكر حتى قال "وليد" مرة أخرى:

- ممكن مفتاح البيت اللي جنبكم لو سمحتي؟

ردت "سعاد" مرتبكة.

- أنا هاجيب مفتاحه منين مش معايا.

قال "عبد الحافظ":

- أو مال فين المفتاح؟

- أنا هاجيب مفتاحه منين؟ دة مش بيتي.

رد عليها "عبد الحافظ" بلهجة انسان واثق من ما يقول:

- لكن بيت جوزك.

بدأت تظهر على وجه "سعاد" علامات الإرتباك أكثر، ولكن حاولت الحفاظ على ثباتها قائلة:

- لأمش بتاع جوزي.

رد عليها "عبد الحافظ" بثقة مرة أخرى:

- بلاش تتكري علشان أنا متأكد من اللي بقوله البيت بتاع "حسين"، أنا صديق قديم ليه وعارف كويس إن البيت بتاعه.

أحست "سعاد" أن لا داعي لإنكارها أكثر فقالت:

- طب تمام البيت بتاعه عاوزين المفتاح ليه؟

نظرت إليها "عبير" بذهول لأن "سعاد" أكدت أن كلام "عبد الحافظ" حقيقي ورد "عبد الحافظ" على "سعاد" قائلًا:

- لإن إحتمال كبير يكون في حاجة بشعة حصلت في البيت دة.

قالت "سعاد" باهتمام:

- حاجة زي إيه؟ فهموني طيب.

فكر "عبد الحافظ" قليلاً قبل أن يقول:

- حسين إحتمال يكون قتل والدة عبير فيه.

نظرت "سعاد" إلى "عبير" ثم قالت:

- انتوا قولتوا إيه لبنتي بالضبط، يبقى أكيد بتعيط علشان كدة.

عادت الدموع تنهمر من عين "عبير" كالمطر ثم قالت:

- فعلاً أنتي مش أمي الحقيقية؟

قالت "سعاد" بعينين دامعتين بدون تردد:

- أنا أمك يا عبير.

رد "عبد الحافظ" قائلًا:

- لأمش أمها.

دخلت الكلمة في قلب "سعاد" كالرصاصة فردت دون تفكير بصوت مرتفع صارخ:

- مش أمها، أبوة مش أمها، لكن أنا اللي رببتها من وهي لسة في اللفة، أنا اللي سهرت الليالي علشان هي تكبر، أنا اللي مكنتش بدوق طعم النوم لو تعبت، أنا اللي تعبت وكبرت وربيت مش اللي رميتها في الميتم.

تنهد "عبد الحافظ" بضيق ثم قال:

- بس للأسف أمها مارمتهاش في الميتم، لإنها كانت مرات حسين، وحسين سرقها منها وجابها لك، أمها لو فعلاً كانت مدفونة في بيتكم الثاني ف هاتكون اتقتلت علشان عايزة بنتها أكيد.

صمتت "سعاد" تفكر لدقائق ثم قالت:

- معقول، علشان كدة حسين قال لي أوعي تفتحي البيت الثاني وإنسيه علشان ماتفتحيش علينا كارثة، حاولت أعرف وقتها ليه بيقول كدة صمم مايقولش لكن حلفني أنكر إن البيت بتاعه وقال لي من النهاردة بيتنا ده وبس الثاني إنسيه.

قالت "عبير" بغير استيعاب لما تسمعه:

- ياماما أنت بتقول إيه؟ أنت بتأكدي كلامهم؟

قالت "سعاد" باكية:

- ده اللي حصل للأسف.

قالت "عبير" لتثبت لنفسها ولهم أن والدها يستحيل أن يكن قاتلاً:

- إحنا ندخل البيت ده ونعرف فعلاً الجثة مدفونة فيه ولا لأ.

ردت عليها "سعاد":

- بس هانعرف إزاي؟ هاتحفر البيت كله؟

قالت "عبير":

- أنا عارفة مكان معين هاتحفر فيه.

تعجبت "سعاد" قائلة:

- اشمعنى المكان اللي بتقولي عليه ده؟

- مش وقته ياماما، فين المفتاح؟

- مش عارفة للأسف المفتاح ضايع من زمان.

قال "وليد"

- يبقى هانكسر (الكالون) بس لازم نشترى فأس الأول:

ردت عليه سعاد:

- في عندنا فأس هنا.

قال "وليد" وهو ينظر إلى "عبد الحافظ":

- تمام كويس قوي.

رد "عبد الحافظ":

- تمام.

3- كشف الأسرار

كسر "وليد" (كالون) الباب وعند دخولهم بدأ "عبد الحافظ" يركز في كل جزء في الأرض حتى لاحظ "عبد الحافظ" شيئاً على بلاط المنزل على يسار باب الخروج، البلاط مكسور، وقف "عبد الحافظ" في مكانه قائلاً:

- استنوا يا جماعة، البلاط كله مكسر هنا ليه؟

بدأت نبضات قلب "عبير" و"وليد" و"سعاد" تزداد، تملكهم الخوف، قالت "سعاد":

- معقول تكون مدفونة هنا؟

صمت "عبد الحافظ" لأنه تذكر سمر، الحزن والضيق دخلا قلبه، كان يتمنى أن تكون على قيد الحياة ولكن الأمل يتلاشى شيئاً فشيئاً، قال "وليد":

- هانحفر، ذهب إلى المكان وبدأ في إزالة البلاط والحفر، ولكنه توقف عندما لاحظ وجود جثة تحت الفأس، جلس "عبد الحافظ" على ركبتيه وبدأ يحفر بيديه، وبعد لحظات من الصدمة بدأ "وليد" ثم "عبير" و"سعاد" في مساعدته حتى أخرجوا الجثة، فوجئوا بجثة تحلل منها الكثير ولكن يتضح جداً من هو صاحب الجثة، إنه حسين!!!

(قبل عدة أشهر)

أخرج "حسين" هاتفه من حقيبته ثم اتصل بزوجته، ردت قائلة:

- ألو.

وضع حقيبته بجانبه على كرسي التاكسي ثم قال:

- ازيك يا حبيبتي؟

نهضت زوجته من جانب والدتها النائمة وخرجت خارج الغرفة قائلة:

- الحمد لله، أنت عامل إيه؟ ورجعت البيت ولا لسة؟

- خلاص أنا في الطريق للبيت، أنت لسة عند مامتك؟

- وقفت زوجته في شرفة المنزل وهي تقول:
- أيوة، معلش ماما تعبانة شوية وهضطر أفضل معاها النهاردة.
 - يعني إيه، هاترجعي إمتى؟
 - بكرة الصبح إن شاء الله.
 - خلاص بس الصبح ألافكي في البيت.
 - حاضر يا حبيبي.
 - عبير عندك هي كمان، ولا في البيت.
 - لأ عبير معايا، هارجع أنا وهي بكرة الصبح.
 - ماشي.
- قالها ثم تذكر أنه لم يسأل على والدتها فأكمل حديثه قائلاً:
- طمني على مامتك طيب، مالها فيها إيه؟
 - دايدة قوي طول اليوم ومش قادرة تقوم من السرير، الدكتور كتبها فيتامين عشان عندها ضعف وقال هاتبقى كويسة بس تخلي بالها من نفسها.
 - ألف سلامة عليها، بصي أنا كده كده عايز اتظمن عليها فخليكي معاها بكرة لغاية ما أطلع من الشغل وهارجع عليكم.
 - طب ماتحاول تيجي دلوقتي.
 - تعبان والله قوي كان عندي قضية النهاردة نت عارفة وراجع مهدود عايز ارتاح في البيت.
 - تذكرت هي أيضاً إنها لم تظمن على الحكم الذي اتحكم به على موكله فقالت له:
 - الحكم كان إيه طيب طمني؟
 - اتأجل الحكم بس مُتأكد إن موكلي هايأخذ براءة، أنت عارفة جوزك بيقدر يحول الباطل لحق والحق لباطل.
 - قالت زوجته بلهجة غير راضية:
 - هو ده عيبك للأسف.
 - أنهى حسين الحوار عندما لاحظ إنه بدأ في قول كلمات لايجب قولها أمام سائق التاكسي.
 - طب سلام بقى دلوقتي ونكمل كلامنا لما نشوف بعض بكرة
 - حاضر ... سلام.

تعود "حسين" على هذا السائق ومنذ اليوم الأول للعمل يذهب معه، يتصل به دوماً ليوصله ويعيده من وإلى العمل بمقابل مادي في نهاية الشهر، السائق مرح ويحب الضحك والنكات لذا لا يشعر حسين بالملل مطلقاً طول وجوده معه ويتمنى أن يكون الطريق أطول لكي يضحك وينسى تعب يومه ومع الوقت اعتبره "حسين" أخ صغير له ولكن السائق كان دائماً يبحث عن فرصة ليسرق منزله، فالنقود الكثيرة الدائمة بالمحفظة، جعلت السائق يفكر ماذا قد يكون بداخل منزله إذا كان يخرج من بيته بهذا القدر من المال، وعندما سمع محادثة حسين مع زوجته تأكد أن فرصته التي ينتظرها أنت، فهو يعلم جيداً أنه لا يوجد أحد بمنزله غيره هو وزوجته وابنته، والآن قالت له زوجته أنها في الخارج ومعها إبنتها لذا اتحت له الفرصة للسرقة.

(في الساعة الثانية بعد منتصف الليل)

عاد السائق إلى منزل "حسين" وهو في كامل الاستعداد لفعل أي شئ ليستطيع سرقة، وقف أمام باب منزله ثم طرق على الباب عدة طرقات، إستيقظ "حسين" مندهش، ويسأل نفسه من أتى إليه في هذا الوقت المتأخر من الليل، نهض ووقف بجانب باب الخروج ثم قال:

- مين؟

السائق توقع أن "حسين" سيسأل من الطارق قبل فتح الباب لذا قبل مجيئه قرر أن يقول له إنه صديقه الذي رآه معه في يوماً ما وهو عائداً من عمله، وعندما سمع كلمة (مين) قال بداخله الحمد لله انني ركزت في اسم صديقه عندما نطقه أمامي ثم قال:

- أنا عمر.

لم يركز "حسين" أن الصوت مختلف وتحولت دهشته إلى قلق وهو يفتح الباب ولكن فوجئ بمطواة ترشق بداخل بطنه، سقط "حسين" أرضاً يتألم وينظر إلى السائق نظرة عتاب وهو يقول:

- ليه كده؟

رد السائق بدون تأثر:

- علشان الفقر، أنا كلمتك كثير عن نفسي لكن ماقولتش أبداً إن أنا مستعد أعمل كل حاجة في الدنيا علشان يكون معايا فلوس.

قال "حسين" بصوت بطيء من شدة الألم:

- بتقتلني علشان الفلوس؟

طعنه السائق مرة أخرى قائلاً:

- أبوة بقتلك علشان الفلوس.

شهق "حسين" متألماً ثم قال وهو في آخر أنفاسه:

- ده أنا كنت بعترتك أخويا الصغير، أنت طلعت حقير قوي، أنت طلعت أحقر إنسان في الدنيا.

قال السائق وهو يطعنه عدة طعنات سريعة بغضب:

. أنا مش حقير ... أنا واحد داق مرارة الفقر اللي أنت أكيد عمرك محسيت بيه.

فارق "حسين" الحياة وطعن ١٩ طعنة قال السائق محاولاً منع نفسه من التأثر.

- تستاهل أنت وكل اللي معاهم فلوس قد كده زيك ومش حاسين باللي زينا، بتطلع قدامي كمية فلوس عمري ماشفتها من محفظتك وتديلي ملاليم، تستاهل.

اقترب منه وأمسك يده ليتأكد من وفاته وعندما تأكد دخل المنزل ليبحث عن نقود وأشياء تنفعه ليسرقها، دخل غرفة النوم وفتح الدولاب وجد بداخله صندوق، فتح الصندوق وجده مليء بالذهب، أخذه وظل يبحث في المنزل حتى أخذ جميع النقود وهاتف "حسين"، ثم حمل "حسين" وكسر كالون باب المنزل المهجور ودفنه بداخله، وخرج من المنزل المهجور عاد إلى منزل حسين، مسح آثار الدماء من على الأرض وأغلق الباب، ثم ذهب واشترى كالوناً جديد ووضعه مكان القديم ليخفي نهائياً جثة حسين في المنزل المهجور المغلق، ثم غادر وخلع قفازه ودخل التاكسي وذهب.

(الآن)

بدأت "عبير" تصرخ بشدة وهي تقول:

- كان عندي أمل يكون عايش، مين اللي عمل فيه كدة وليه؟

قالت "سعاد" وهي ترد بصرخات خارجة من قلبها الذي ينزف دماً على حب عمرها الملقى أمامها.

- يا حبيبي يا حسين، أهو طلع هو اللي مدفون هنا مش أم عبير زي ما بتقولوا.

الدموع تهب من عين "وليد" و"عبد الحافظ" دون كلمات، وقالت عبير:

- أنا مش قادرة أفضل هنا أكثر من كدة.

نهضت لكي تعود ولكن أمسكها "وليد" قائلاً:

- فين المكان اللي كنت بتشوفي فيه أمنا؟

نظرت إليه قائلة:

- أنت عايز إيه ثاني؟

- أرجوك يا عبير فوقي وقولي لي.

ذهبت "عبير" إلى الداخل وذهب معها "وليد" و"عبد الحافظ" ولكن "سعاد" ظلت تبكي في مكانها.

- ده المكان.

قالتها "عبير" وهي تشاور بسبابتها على الأرض في المكان الذي رأت فيه "سمر".

وبدأ "وليد" في الحفر حتى طلع في الفأس بقايا عظام لم يتحلل.

وقف الجميع في ذهول لحظات ثم بدأت "عبير" الضحك بطريقة هستيريا وهي تقول:

- أبويا مقتول برة وأمي هنا، هو قتلها ولقى اللي قتلته، ثم قالت بأعلى صوت:

- ماماااa

ذهبت والدتها سريعاً وهي تلتفت انفاسها من البكاء وقالت:

- إيه اللي حصل؟

قالت عبير والدموع تهبط من عينيها وهي تضحك ضحك هستيري في آنٍ واحد:

- جوزك كان متجوز عليكى فعلاً وجابني، شايقة العظم دة، واضح قوي إنه عظم بني آدم، مية في المية دي أمي اللي أبويا قتلها، يعني أنا بنته بجد مش متبيني زي ما قال لك، أنا وأنتِ عشنا عمرنا في كذبة كبيرة قوي كذبها علينا أبويا اللي كنت بتعطي عليه برة دة.

4-بداية الحكاية

سنة ٢٠٠٢

- أنا عايزة بنتي يا حسين.

قالتها بصوت مرتفع، فرد عليها بقلق وهو يغلق باب منزله خوفاً من أن تسمع زوجته صوت "سمر":

- أنتِ عرفتِ مكان البيت ده منين؟

- من عبده، رد عليا بنتي فين؟

رد عليها هامساً:

- بنتك عندي، مراتي هاتربيهها.

- أنت مجنون، ازاي يعني مراتك هاتربيهها، دي بنتي أنا ومش هاخسرها أبداً زي ما خسرت "وليد".

- وطي صوتك طيب، صدقيني "عبير" هاتربى أحسن تربية، اتطمني.

- أنتوا سميتوها عبير؟

ثم ضحكت بسخرية قائلة:

- حلو قوي أعرف اسم بنتي بالصدفة.

- أنت صوتك عالي وهاتعملي لي مشاكل، تعالي معايا.

ثم أخذها حسين من ذراعها بالقوة وهي تقول:

- وسع سيبي أروح آخد بنتي.
- أخذها إلى منزله الآخر وقال:
- تعالي نتكلم هنا في هدوء ونتفق هانعمل إيه.
- نتكلم فين؟ بيت مين ده؟
- ده بيتي.
- قالها ثم أخرج محفظته من جيبه وأخذ من داخلها مفتاح المنزل وفتحه قائلاً:
- تعالي إدخلي نتكلم وبإذن الله نوصل للقرار الصح.
- دخلت "سمر" المنزل ونظرت حولها ثم قالت:
- هانقعد على الأرض؟ دة بيت فاضي!!
- هانقعد على الأرض علشان مفيش مكان ثاني نقدر نتكلم فيه براحتنا.
- جلست "سمر" على الأرض في الصالة ثم قالت:
- واقف ليه ماتقعد.
- جلس "حسين" بجانبها قائلاً:
- مش أنت اللي يهك بنتك تكون بخير وتتربى كويس، صدقيني مراتي هاتشيلها جوة عنيتها.
- أنا عايزة بنتي تتربى في حضني.
- رد "حسين" غضباً:
- ده على جنتي يحصل ياسمر.
- وأنا بقول لك مش هامشي من هنا غير وبنتي معايا.
- وأنا بقول لك بنتي محدش هايرببها غيري أنا ومراتي.
- نهضت "سمر" وقالت وهي تسير في إتجاه الباب:
- يبقى أنا هاروح آخد بنتي من مراتك.
- سارت "سمر" عدة خطوات ثم أمسك "حسين" عباعتها بقوة، حاولت سحب نفسها من بين يده واستطاعت، لكن تمزق كتف العباءة.
- رأى "حسين" حجراً كبيراً بجانبه، أمسكه وضربها به على رأسها عدة مرات، سقطت على الأرض وبدأت روحها في الخروج، قال "حسين" بلهجة حزينة:
- أنت اللي إضطرتيني أعمل كده.

وفارقت "سمر" الحياة حينها بدأ يفكر "حسين" كيف يخفي جثتها وقرر إخفاء الجثة داخل المنزل ودفنها فيه.

.....

النهاية

(بعد مرور عامان)

عاد "وليد" و"أميرة" من الخارج يضحكون، فتح "وليد" باب المنزل وذهب إلى "سعاد" في غرفتها ووراءه "أميرة"، قال "وليد":

- عندي ليك خبر هايفرحك قوي.

قالت "أميرة" مازحة:

- أسكت يا وليد، احنا اتفقنا أنا اللي أقول لها

قهقهت سعاد ثم قالت

- في ايه فهموني؟

قال "وليد" ضاحكاً:

- الدكتور قال لنا إن أميرة حامل في توأم.

نهضت "سعاد" بسعادة وضمت "أميرة" قائلة:

- ده أحلى خبر سمعته في حياتي.

قال "وليد" مبتسماً:

- بتحضني "أميرة" بس طب وأنا مش إبنك برضو؟!!

فتحت "سعاد" ذراعها الآخر قائلة:

- إبنني وروحي أنت ومراتك تعالى قرب.

اقترب "وليد" وضمته "سعاد" هو أيضاً بذراعها الآخر قائلة:

- أنتوا هدية ربنا لياً، أنتوا اللي طلعت بيكم من الدنيا دي، صحيح ربنا حرمني من الخلفة لكن رزقني بعبير، بعدها اتمنيت كثير يكون لي ابن ولد وربنا ورزقني بيك يا "وليد" بعدها دخلت حياتي "أميرة" ولما قررت تتجوزها عرفت إنها الهدية الثالثة لياً، ربنا يخليكم لي ومايحرمني منكم أبداً يا ولادي.

ردت "أميرة" ودموع السعادة تسقط من عينيها:

- أنتِ أحن وأطيب أم في الدنيا ووجودك في حياتي أنتِ "وعبير" حاجة كبيرة قوي مش هايحس بيها غير اللي اتحرم من حنان الأهل زيي.

قال "وليد" وهو ينظر إلى "سعاد":

- وأنا بوجودكم في حياتي كل أحلامي إتحققت وبقيت مش عايز أي حاجة من الدنيا غير إن ربنا يحفظك أنتِ وعبير وأميرة لينا وأكون طول عمري سندكم في الدنيا، ويارب يتم حمل "أميرة" على خير وأعرف أكون معاها ومعكم بوجود أطفالنا الاسرة السعيدة اللي حلمنا بيها كثير قوي وإحنا في الميتم.

"عبير" الآن في غرفتها، جلبت ورقة وقلم وقررت تكتب كل شئ بداخلها آملة أن يخرج الثقل الذي تشعر به داخل قلبها عندما تقوم بكتابته.

(شعور قاتل ستشعر به إذا صُدمت في أقرب الناس إليك، لا أستطيع الآن وصف الوجد الذي أشعر به بداخلي، كل من حولي يكمل الباقي من حياته في سعادة وأنا تائهة بمفردي في جمال الماضي الكاذب ومرارة حقيقة الحاضر الأليم، أبي الذي كنت أكن له كل الإحترام والتقدير أبي الذي كان في نظري مثال الإستقامة والأخلاق والطيبة علمت إنه قاتلاً وقتل من؟ قتل أمي!، في السابق كنت أشعر بحزن شديد عندما أتذكر إختفاء أبي، والآن أشعر بعدل الله عندما أتذكره وهو مقتول، فهو قتل وظلم وبسببه عاش أخي بدار الأيتام بلا أم وأب، عدل الله أن هو أيضاً يُقتل ويدفن في المنزل الذي دفن بداخله أمي، عدل الله أن يتذوق العذاب كما أذاقه لغيره حتى ولو عذاب لحظة قتله فقط، فتحليل الطب الشرعي يقول إنه طُعن عدة طعنات في جسده، عدل الله أن يخرج حبه من داخلي الآن كما منعي أنا وأمي من تقربنا وحبنا لبعضنا، عدل الله أن نجتمع جميعنا الآن وندعي الله دائماً بالرحمة والمغفرة لأمي ويكون هو الوحيد المكروه والمنسي، قال تبارك وتعالى : {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}

[سورة إبراهيم - ٤٢] .

تمت